[٤٣٧]

أحاديث

حول الأدب والفن والثقافة

obeikandl.com

obeikandl.com

عبد الكريم الحمامصي

أحاديث

حول الأدب والفن والثقافة

الطبعة الثانية

دار المعارف

obeikandl.com

obeikandl.com

تصميم الغلاف : **نادية النحاس**

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

فهرس

مقدمة ٧
توفيق الحكيم ٩
أحمد رامى (٢ حديثان) ١٤ ، ٢١
د . حسين فوزى ٢٦
نجيب محفوظ (٣ أحاديث) ٣٢ ، ٤٣ ، ٥٤
د . محمد عزيز الحبابى (المغرب) ٦٢
د . شوقى ضيف ٧٧
د . رشاد رشدى ٨٥
مولود قاسم (الجزائر) ٩٤
ثروت أباظة ١٠١
سعد مكاوى ١١٢
د . محمد الظواهرى ١٢٠
أحمد كامل مرسى ١٣١
مرسى جميل عزيز ١٤٣
محمد جبريل ١٥٣
فاطمة سليم (تونس) ١٦١

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

● عندما أقدمت على إجراء هذه الأحاديث التي يحتويها هذا الكتاب خلال فترات متراوحة . . كنت أستهدف – وقد أتيحت لي فرص نشرها والإلتقاء بالأساتذة الذين أجريت معهم وبعضهم تربطني بهم صداقة وثيقة أشرف بها – أن أقدم شيئا يفيد حياتنا الأدبية والفنية . . مسترشدا بمعايشتي لما قدموه في مجالاتهم الإبداعية المختلفة .

فلم تكن هذه الأحاديث هنا مجرد « دردشة » عابرة تتبدد بمجرد إنطواء مناسباتها فقد حرصت على أن تكون ذات طابع يكفل لها الاستمرار متخطية بذلك أسوار الزمن الذي أجريت فيه . . والفضل في ذلك يرجع إلى الذين التقيت بهم فهم أصحاب مادة هذا الكتاب . ولم يكن لي غير ألفي أدليت بوعاء فامتلأ بفيض ينابيعهم .

وإذا كانت بعض جزئيات هذه الأحاديث تتعلق بمناسبة أو قضية كانت مطروحة وقتها فقد توخيت من السؤال أن تكون الإجابة بشأنها بمثابة وثائق حولها .

وآمل أن تكون هذه الأحاديث قد ألقت ضوءاً على أعمال الذين أجريت معهم

لتتاح للقارئ رؤية أكثر اتساعا عن هذه الأعمال وأصحابها وأن يسترشد بهذه الرؤية عند مسيرته فى دروب عوالمهم الإبداعية .

والحقيقة أن بعض الإجابات فى هذه الأحاديث يمكن أن تكون نوعاً من الإضافة لما سبق أنه أعطاه أصحابها من قبل أدباً وفناً . . فنحن من خلال هذه الأحاديث نقف وجها لوجه أمام أعمالهم ومواقفهم ومكوناتهم ورؤيتهم حول مختلف القضايا التى تتحاور فى ساحتنا الثقافية .

بجانب هذا فقد استهدفت أيضا أن أكون واحداً من الذين قاموا بمحاولات لتدعيم وترسيخ وإبراز ملامح وقسمات « الحديث » الأدبى والفنى . . فالحقيقة أن هذا النوع ليس طارئ الوجود . . فله رواده الذين تعلمت منهم . . ولكن المحاولات المتميزة فى مجاله كانت محدودة . . وأملى أن تكون هذه المحاولة من جانبى لبنة تضاف إلى بنيانه . . وأن تكون قد حققت ما استهدفته . وأن تكون فى المستوى الذى يؤهلها لأن تمكث فى أرض حياتنا الثقافية . . والله ولى التوفيق ، ،

عبد العال الحمامصى

obeikandl.com

توفيق الحكيم

إمكانات العلم . . وليست مجرد رؤية الفنان !

● فى عصرنا هذا . . لم يعد الطعام وحده هو الحاجة المادية الوحيدة للإنسان ، هناك احتياجات أخرى على نفس الأهمية . . المسكن اللائق . . والمكان المتاح فى المدرسة والجامعة . . والسرير فى المستشفى . . والمواصلات المكفولة المريحة . . بجانب حق التمتع بما أحدثته الثورة الصناعية من منتجات . . والأخذ بنصيب عادل من معطيات الحضارة وأفانين الثقافة . . وضروب الفنون .

ومنذ ثلاثة عشر عاماً تقريباً أطلق مفكرنا وفناننا توفيق الحكيم دعوته منادياً بالطعام لكل فم . . انطلاقاً من إحساس مفكر وفنان تؤرقه مشاكل عصره . . وهموم إنسان هذا العصر .

وعاد مؤخراً يكرر هذه الدعوة فى مواجهة عالم متخم بالثراء فى جانب منه . . بينما أغلبيته فى مناطق كثيرة تتساقط من الجوع . . وتفتك بها الأمراض . . وتفتقد

obeikandl.com

مقومات الحياة . . كما ينبغى أن تكون الحياة .

الجديد فى دعوة توفيق الحكيم تأكيده بأن فى مقدور العلم أن يكفل هذا . . أن يكفل وجود عالم خال من الجوع . ومن هنا ينبثق السؤال . . هل اعتمد الحكيم فى دعوته تلك على شفافية الفنان فيه ومعاناته واستشرافه – بحكم هذه الشفافية وهذه المعاناة – العالم الأفضل أم اعتمد على رؤية موضوعية لإمكانات العلم الراهنة . . وإمكاناته المحتملة والمتوقعة .

وهل يمكن أن يرفع الحكيم شعار دعوة مماثلة . . ؟

دعوة تنادى بالمسكن لكل مواطن . . والمقعد فى المدرسة والجامعة لكل راغب فى التعليم والعلم . . السرير فى المستشفى لكل مريض . . وهل يجد أن العلم يمكنه أن يحقق لنا هذا . . كما اعتقد بأن العلم فى مقدوره أن يوفر الطعام لكل فم . . ؟

هذا ما طرحته على مفكرنا وفناننا الكبير توفيق الحكيم . .

● **رغم تزايد السكان . . سيكون الطعام لكل فم :**

● **قلت لتوفيق الحكيم :**

● دعوتكم التى نادت بتوفير الطعام لكل فم . . والتى جزمتم بقدرة العلم على تحقيقها .

هل هى حلم فنان يحتضن هموم الإنسان . . ويتوق لأن يجد الحلول لمشاكله أو تجاوزت ذلك – أعنى رؤية الفنان – واعتمدت على مقياس حقيقى لإمكانات العلم الراهنة والمتوقعة . وهل وضعتم فى الاعتبار الزيادة المهولة فى معدلات نمو السكان ؟ ؟

– وأجابنى توفيق الحكيم بقوله :

هذه الدعوة جذورها أصلاً فى آمال الإنسان . . وأحلام الفنان . . وتجدها عندى فى كتاباتى القديمة . . فى الثلاثينيات مثل «يوميات نائب فى الأرياف» «مشكلة الحكم» وفى الأربعينيات فى مثل «سلطان الظلام» إلى أن فجرت الذرة فى الخمسينيات . . وظهرت بوادر القوة الهائلة التى أنتجها العلم الحديث ، فبدأت عندى الآمال تأخذ طريق الإمكان .

وجاء ذلك فى «رحلة إلى الغد» . . ثم تأكد عندى ما يستطيعه العلم فى إنهاء الجوع ، فكتبت فى الستينيات الطعام لكل فم . . ونحن الآن فى السبعينيات فلم يعد عندى شك فى قدرة العلم . . ووجدت المسألة قد تجاوزت الإطار الفنى والأدبى . للدخول مباشرة فى العمل الفعلى على تحقيق ذلك . .

أما تزايد السكان ونحو ذلك من المشكلات فإنها سوف تحل من نفسها عندما يكون الطعام لكل فم شيئاً محققاً .

● قلت :

عندى ثمة تساؤل . . اقتصرت دعوتكم على «الطعام لكل فم» هل تعتقدون أن إمكانات العلم قادرة على إيجاد الحلول لاحتياجات أخرى أساسية . . المقعد الميسر لكل راغب فى التعليم . والدواء لكل مريض ؟

– بالطبع . . إن العلم الحديث إذا وجه إلى حل مشكلات الاحتياجات الأخرى للإنسان فإنه يستطيع حلها بسهولة . . فهى ليست عنده بأصعب من توجيه مركبة على سطح المريخ وإصلاح ذراعها وأمرها بالتقاط الصور من مسافة مائة مليون ميل ! ! . .

● **العلم قادر . . .**

والإنسان يفضل اللعب :

● **ومتى فى اعتقادك – مادمت متفائلاً إلى هذا المدى – يمكن أن يتحقق الحلم . . أفى قرننا هذا . . أوفى قرن آت . . أومتى ؟ !**

– متى يتحقق هذا الحلم ، حلم الطعام لكل فم . . فى اعتقادى أن العلم قادر . . ولكن الإنسان هو غير القادر . . الإنسان الذى لم يزل فى مرحلة الطفولة السلوكية إنه يفضل اللعب على الأكل . . وكل من فى بيته طفل يعانى من ذلك عندما يجىء وقت الغداء ويحاول جاهداً أن ينتزع طفله من بين لعبه كى يتناول طعامه .

العلم العجيب الخارج من رأس الإنسان الطفل وجهه إلى صنع صواريخ ومفرقعات يلعب بها ونسى الطعام . .

إلى متى ؟ هنا المشكلة الحقيقية !

● **الشعوب هى التى تجوع . . وعليها أن تقوم بالتمويل :**

● عدت أقول .

أعتقد أن دعوتك تلك لا يمكن أن تحققها دولة بمفردها . أقصد على مستوى العالم بأسره . . لابد من تعاون عالمى لإنجاز هذه المهمة والحلم . .

هل تعتقد أن التقدم الحضارى يمكن أن يلغى الإقليمية والإحساسات العرفية ونعرات الكيانات القومية لتعمل الإنسانية بأسرها . والدول بأجمعها فى قافلة موحدة

من أجل الوصول إلى هذا الهدف . . وهل سيأتى هذا اليوم . . أيمكن أن يأتى ؟

– فعلاً . . دعوتى لا يمكن أن تحققها دولة بمفردها . . فالعلم متفرق . . كما هو متكامل . .

والعلماء والخبراء ينتمون إلى دول وجنسيات مختلفة . ولكن ما ينتجونه من علم يكمل بعضه بعضاً . . ولذلك فلابد من تجميع وتوحيد البعض من العلماء والخبراء المؤمنين بالفكرة . . فكرة توجيه العلم إلى هذه الغاية . وإذا خرجوا بعد بحوثهم بخطة عملية ولم يبق غير التنفيذ . وما يتبعه من تمويل . . فإن الأمر يصبح فى أيدى الشعوب . . لأن الشعوب هى التى تجوع وعليها أن تتكاتف وتتعاون لتحقيق عملية التمويل .

ولكن . . هل الشعوب موحدة فى كيان واحد ؟ . . أو أنها مختلفة ومتفرقة فى كيانات وقوميات وحساسيات ونحو ذلك ؟

هذا أيضاً من أهم المشكلات ! وحتى لو اتحدت الشعوب فى هذا الهدف بمعزل عن هذه الاعتبارات فما هو موقف الحكومات . والسلطات والسياسات ؟ كل هذه معضلات ومعوقات . . ولكن يبقى العلم قادراً ومنتظراً ، وعلى كل عقل وقلب وضمير . أن يعمل بما فى يده من فكر وقلم وفعل حتى يتجه الجميع إلى هذا الهدف .

أما متى يأتى ذلك اليوم . فأمره عند ربى . وليس لنا إلا أن نأمل فى حكمة الشعوب . وفى مستقبل الإنسانية .

ولى أمل خاص فى الشعوب العربية .

فهل سنسمع صوتها ؟ ! إنى منتظر !

يناير سنة ١٩٧٧

الشاعر أحمد رامى

التطور . . لابد أن يكون من صلب الشيء ذاته !

لن أتحدث هنا عن رامى الشاعر الكبير بدواوينه النابضة بأرق أشعار العاطفة المتسامية والوطنية الدافقة . . ولا عن رامى عملاق الأغنية المصرية ودوره فى الانطلاق بها من الترخص والابتذال إلى ذرى الفن الرفيع . . ولا عن رامى صاحب أروع ترجمة لشعر الخيام تمكنت من النفاذ إلى أعماق هذا الشاعر الفارسى . وسبر أغواره الوجدانية . وجاءت بما يجعلها إضافة حقيقية للشاعرية العربية .

ولن أتحدث عنه مترجماً ولا كاتب قصة منذ مطلع شبابه ولا مؤلفاً للمسرح الشعرى وقصص بعض أفلام الراحلة الخالدة أم كلثوم . . فكل هذا يعرفه القارئ عنه ولا جدوى من تكراره ،

ولكنى سأتحدث عن لمسة وفاء بدرت من صاحب القلب الذى لم ينبض على

obeikandl.com

مدى حياته إلا بالحب . . لمسة وفاء هزت وجدانى فى عصر أقفر من الوداد الصادق .

فى الصباح توجهت إلى منزله فى حدائق القبة . وجدته متألق الروح تنطق بالفرحة كل مشاعره ، فقبل دخولى بدقائق كان قد تسلم رسالة من الشاعر صالح جودت الذى يعالج الآن فى لندن – شفاه الله وأعاده لوطنه معافى – كانت الرسالة تحمل إليه أخباراً مطمئنة عن صحة صديقه الذى أجرى عملية ناجحة . . رأيت رامى يكاد يبكى من فرط الفرح . . وجدته يبادرنى بالرسالة ويتلوها على فى إحساس من امتلك كنوز الدنيا كلها . . يا عصرنا . برغم كل ما يقال فيك ، لم تزل بعد بخير . . ومازالت قلوب الناس عامرة بهذا الشىء الذى يعطى الحياة معناها . . بالحب .

● **قلت للشاعر أحمد رامى :**

مستقبل الأغنية الطويلة وكذلك أغنية القصيدة الشعرية ما هو توقعك له على ضوء إمكانات الأصوات الغنائية الموجودة ؟

«لا أدرى . . أكان يتألم لما آلت إليه حال أغانينا . . أم كان يسخر من سذاجتى وهو يجيبنى بنبرات متهكمة :

– الأغنية الطويلة . . ليس لها حاضر حتى يمكن أن يكون لها مستقبل . لأن طاقة المغنى والسامع أصبحت محدودة وأصبح الاستماع الطويل للغناء مفقوداً فى هذا العصر الذى ساده القلق وانتشر فيه الوهم واندفع الناس إلى الاستمتاع بالحياة فى سرعة وانتهاز . وأصبحت الأغنية عبارة عن قطعة صغيرة لا تأخذ من الوقت أكثر من عشر دقائق ، أما الشعر فقد نضبت سوقه وانفض عشاقه . . بعد أن انتشرت

الأغانى الدارجة . ذات المعانى الهزيلة . والتعبيرات الركيكة وأصبح السامع لا يطيق الصبر على تفهم اللغة الفصيحة التى تصب فيها هذه القصائد . والتى كان يرددها كبار المطربين من رجال ونساء .

قلت :

● أليست هذه نظرة بالغة التشاؤم ؟

– لست أقول هذا من قبيل التشاؤم . وإنما من باب الاعتراف بالواقع الماثل فيما أراه وأسمعه فى هذه الأيام من أصناف الأغانى . . أصبحت الأغنية الآن مجرد تسلية ولم تعد طرباً .

● فى نظرك من هو الملحن الذى استطاعت ألحانه أن تتجاوب مع إمكانات صوت كوكب الشرق أم كلثوم ؟

– بدأت أم كلثوم اختيار الملحنين الممتازين فى عصرها ، من أبو العلا محمد إلى عبد الوهاب وقد اختارت القصبجى وهو قمة فى التلحين . . ثم زكريا أحمد وهو آية فى اللحن الشرق ثم السنباطى وألحانه هى الإبداع عينه . . ولا أرى فى كل من لحن لأم كلثوم إلا قادراً على إظهار مفاتن صوتها وسر المعانى فى الأغنيات التى تشدو بها .

● ما رأيك فى الألحان التى وضعت لأغانيها الأخيرة ؟

– الألحان الأخيرة التى قدمت للسيدة أم كلثوم تختلف عن الألحان التى سبقتها . . لإدخال بعض الآلات الإفرنجية فى هذه الألحان والاقتصاد فى الجمل الموسيقية والإكثار من الطبل والزمر الذى كان يشوش على صوتها فلا تستبين ألفاظها كما تعودنا . وانعدمت فى هذه الألحان الطبقات العالية من ذلك الصوت الرخيم والانفراد بالغناء فى جو تسكت أو تخفت فيه هذه الآلات . لدرجة أن صوتها أصبح عبارة عن آلة من هذه الآلات الموقعة .

● البعض يتهم موسيقانا الشرقية بأنها لا يتلاءم مع عصر راكض الخطو متلاحق الحركة ، فى رأيك هل يقف هذا الاتهام على أرض حقيقية . أم أن الموسيقى الشرقية تحمل خصائص ملاءمتها لحياة عصرنا المتحركة أبداً . . ؟

– الذين يقولون هذا هم أجهل الناس بالموسيقى الشرقية ، بل لعلهم أجهل الناس بالموسيقى عموماً . فالموسيقى الشرقية هى أوسع موسيقات العالم ميداناً فى علم الطبقات وعلم الأوزان وعلم الألحان . وهى نبع سخى لكل الموسيقات التى لحقتها . وإن كان فيها شىء من الرتابة كما يزعم البعض فهذا مرده إلى ضعف المغنى والملحن لا ضعف الموسيقى نفسها . وعلى أى حال لا توجد الرتابة إلا فى أنواع الأغانى القصيرة «الطقاطيق» وهى التى يردد فيها نفس اللحن فى كل مقطع من الأغنية . . . أما التغنى بالقصيدة والمونولوج والقطعة الوطنية أو الوصفية وغيرها فهى عامرة بالألحان التى تتلون وتتغير فى كل مقطع . وقد بلغت الموسيقى الشرقية من السعة ما يمكنها من أن تبلغ من التطور فى إهابها ما يجعلها تغنى عن الاقتباس من الموسيقى الغربية . ولا أرى أن يكون التطور فى شىء إلا من صلبه ذاته . .

● هناك شبه إجماع على أن الأغنية المصرية تجتاز أزمة ، هل يكون سر هذه الأزمة هو افتقار الأغنية إلى الكلمات الموهوبة ؟

– أنا لا أعتقد بأن بقاء الأغنية راجع إلى كلماتها أكثر من رجوعه إلى لحنها وإلى الصوت الذى يؤديها . فكم من أغنية هزيلة اللفظ طيبة اللحن اشتهرت أكبر الشهرة . وكم من قطعة غنائية جيدة اللفظ والمعنى ورديئة اللحن كتب لها السقوط . . والرأى عندى أن يتحد اللفظ واللحن فى صوت جميل يحسن الأداء لإبداع الأغنية . . ولا أنكر أن معنى الأغنية له دخل كبير فى تقدير السامع لها . فإن الإحساس الصادق التعبير . والذوق الخالص فى التصوير كفيلان بإرضاء من يستمع

إلى الأغنية ولو نزل لحنها أو ضعف المؤدى لها عن المستوى الذى وصلت إليه الكلمات .

● دورك فى تطوير الأغنية المصرية والارتفاع بمستواها مسألة لا تحتاج إلى دليل . . لماذا توقفت عن كتابة الأغانى ؟

– أنا شاعر أصدر ثلاثة دواوين . ورباعيات الخيام نقلاً عن الفارسية قبل أن أنظم أغنية واحدة ، أنا شاعر ، الشعر مهمته قبل كل شىء . . وليست الأغنية هى الشىء الأساسى فى إنتاجه . . وأنا لم أنقطع عن نظم الشعر أبداً سواء أكان ذلك فى خواطر تعرض لى أم فى مناسبات قومية وآخر ما نظمته قصيدتى فى رثاء مطربة الشرق السيدة أم كلثوم أما كتابتى للأغنية فأمر يتطلب منى التريث حتى تنقشع عن نفسى تلك السحابة التى ترين عليها .

● مادمت تعتبر أن الأغنية ليست الشىء الأساسى فى إبداعك فما السر الذى جعلك تتجه إلى كتابتها بهذا الاقتدار وتعطينا أجمل ما ترنمت به أصواتنا الغنائية العظمى .

– بدأت أكتب الأغنية من منطلق الرغبة فى خدمة هذا الفن فن الطرب . وفى ذلك العصر السحيق منذ نصف قرن كان يشيع فى بعض الأغانى ألفاظ غثة وكلمات مسفة . . وكان علىّ أن أفعل شيئاً . وقد وفقنى الله أن أعطى صورة مشرفة للأغنية كما يجب أن تكون ، وقد عاونى فى ذلك إخوة وأبناء من الشعراء والمؤلفين . . حتى جاءت الحرب العالمية الثانية وفى ظل ظروفها عاد شىء من الركاكة والاستهانة والانكشاف إلى الأغانى القصيرة الهزيلة .

● كتبت للسينما قصة « وداد » و « دنانير » من أفلام أم كلثوم . . لماذا لم تكتب بعدهما قصصاً للسينما . ؟

– فى مطلع حياتى الأدبية كنت متعدد الاهتمامات . . فقد نشرت طائفة من القصص فى مجلة « السفور » وألفت رواية مسرحية هى « غرام الشعراء » قامت بتمثيلها السيدة فاطمة رشدى . . كما ترجمت خمس عشرة رواية للمسرح . . ولكنى بعد ذلك آمنت بالتخصص . . ولما كان الشعر هو الشىء الأساسى فى حياتى فقد اقتصرت عليه ولم أنقطع لتأليف غيره . . وكثيراً ما طلب منى أن أكتب شيئاً من المذكرات أو البحوث فكنت أرفض توافقاً مع مبدأ التخصص الذى التزمت به والذى وجدته يلائم طبيعتى الخاصة . فأنا ابن الخواطر يعرض لى المعنى الجديد . فأنظم فيه . . لقد خلقت لأرسل الأبيات نجوى لنفسى وسمراً لأحبائى وقرائى .

● أغلب شعراء الشطرين يرفضون الشعر الحديث . . ما هو موقفك أنت منه ؟

– ليس هنالك شعر قديم وشعر حديث . فالشعر هو البحر والقافية فإن خرج عنهما فليكن له اسم غير ذلك . . أما قولهم شعر الشطرين والتقليدى والقديم وغير ذلك فهذا افتئات على الشعر وانتقاص من قدره . . وليس الشعر مقصوراً على القصيدة ذات البحر الواحد والقافية الواحدة . فإن من أنواعه الموشح والنشيد والمونولوج « القطعة الفردية » والشعر التمثيلى وغير ذلك . . تتنوع فيه الأبحر والقوافى فى إطار مدروس يخرج عن الرتابة المزعومة فى البحر الواحد والقافية الواحدة . . أما أن يقتصر فى النظم على التفعيلة الواحدة ثم يرص بها فى ألوان من الأشطر المختلفة العدد فى هذه التفاعيل والمختلفة الجرس فى اللفظ الذى يقف موقف القافية . فهذا خلط لا يستسيغه الذوق ولا السمع . وليبحث أصحاب الشعر الحديث – كما يسميه أهله – عن اسم آخر غير الشعر . . ثم كيف يقال لزجال لا يقيم جملة صحيحة من اللغة العربية وإنما يكتب باللغة الدارجة أنه شاعر غنائى . .

وهل هناك شاعر غنائى ، وشاعر تمثيلى ، وشاعر غزلى . . نحن لا نعرف هذا .

وإنما نعرف أن هنالك شعراً غنائياً وشعراً وطنياً وشعراً تمثيلياً . . أليس كذلك . .

● وتبقى كلمة ●

هل أقول لك فى النهاية إن شاعرنا الكبير أحمد رامى قد رفض الإجابة عن أسئلة كثيرة كانت فى خاطرى وطرحتها عليه حول واقعنا الفنى وعناصره . . وهو حر فى هذا . . فليس من حقى أن ألزمه بالإجابة عن أسئلة لديه من المبررات ما يجعله يمتنع عن الإجابة عنها . . هذه مسألة بديهية ولكنى أذكر هذا من قبيل الدفاع عن نفسى حتى لا أتهم بالتقصير من لدن قارئ يرى – وهو محق فى هذا – أن هنالك قضايا مهمة كان يتمنى أن يسمع رأى شاعرنا الكبير فيها وقد أتيحت لى فرصة لقائه وإجراء هذا الحديث معه .

مهما يكن من أمر فقد أعطانا الشاعر وجهات نظر ثمينة فى قضايا متعددة . . وحاشا أن يكون هواللوم . . ولكن المحب طماع . . وهذا كل ما فى الأمر . . ملاحظة قد تكون سخيفة . . عفواً شاعرنا . اغفرها . . بحياتك اغفرها . .

« ديسمبر » ١٩٧٥

أحمد رامى

لن أكتب شيئاً يغنى بعدها ! !

مهمتى فى إجراء حديث مع شاعرنا أحمد رامى دائماً تكون بالغة الصعوبة ، كل مرة أتصل به معرباً عن رغبتى فى إجراء حديث معه يجابهنى بإجابة أصبحت أتوقعها قبل أن تبدومنه لفرط ما اعترضنى بها . . دائماً يقول لى : ماذا بقى ليقال ، لقد أدليت بعشرات الأحاديث فى كل ما يمكن أن يخطر على بال متسائل . . وأجيب بأن رجلاً فى مثل ريادته لا يمكن أن ينضب معينه أويجف نبع العطاء فيه . . حتى الذى سبق أن قاله ستعطيه جدة الحيوية قيمته هو الكبرى فى حياتنا . . مثل أغنية رائعة دائماً يحن الإنسان لسماعها . . مثل كتاب معطاء دائماً نعود لقراءته . .

وما أقول له هذا تملقاً ليرضخ ويستجيب . . بل أقوله بصدق نابع مما تعنيه الكلمة تماماً . .

obeikandl.com

فى النهاية استجاب شاعرنا أحمد رامى لرغبتى . . ربما تخلصاً من عنادى ! !

● **قلت لرائد الأغنية المصرية المتطورة أحمد رامى :**

رباعيات الخيام التى ترجمتها لنا بطريقة أضافت لها روعة الخلق الدائى . . هل هى كل ما كتب حكيم نيسابور من رباعيات . . إن كانت توجد رباعيات أخرى لهذا الشاعر فلماذا لا تقدمها لنا بنفس الشاعرية والاقتدار الذى قدمت به إلى ديوان الشعر العربى ما ترجمته من رباعيات ؟

– لو عدت إلى الديوان لوجدت الإجابة على سؤالك جاهزة . . فالمقدمة التى تصدرت ترجمتى لهذه الرباعيات تعرضت لحياة الخيام وشعره وما انتحل ونسب إليه . . ولوكنت قرأت المقدمة لكانت أغنتك عن توجيه السؤال ! !

ألجمتنى المفاجأة . . ها هو ذا يعرينى . . لماذا فقدت ذاكرتى وقد قرأت الديوان والمقدمة أكثر من مرة .

● ولكن الأجيال الجديدة تحب أن تسمع رأيك حول ما جاء فى السؤال ؟

« جاءتنى إجابته تحاصرنى . . لا فائدة لابدّ من التسليم بالهزيمة بلا مكابرة . . »

– من أدراك أن الأجيال الجديدة لا تعرف . . والرباعيات طبعت ست عشرة مرة على فترات مترامية . . وكانت من الانتشار بحيث تكون المقدمة متاحة لكل الذين تهمهم الإجابة » .

● **لوكتبت لنا جديداً من الشعر الغنائى . . فمن من الأصوات المطربة بعد « ثومة » ما تتلاءم إمكانيات الأداء عنده مع طبيعة شعرك الغنائى ؟**

– ما عدت أكتب الأغنيات . . انتهت مهمتى فى هذا المجال . . وبالتالى فلا معنى لقراءة طالع مخلوق لم يوجد بعد !

● ولكن رامى الذى كانت الكلمة المحلقة الموسيقية هى توأم خلجاته وأحاسيسه

لا يمكن فى اعتقادى أن يتوقف عن العطاء المتجدد تجدد الحياة وتوافقاً مع دفق مشاعر شاعر تعوداه دائماً فى عناق مع الحياة ؟

– صدقنى بأنى لا أعتقد أننى سأكتب شيئاً يغنى بعدها . . لقد كنت أكتب استجابة لمشاعرى وتعبيراً عن وجدانى وهى ملء خاطرى . . كانت العبارة الشاعرة توافينى متآخية مع أخيلتى لإمكانيات صوتها ومعرفتى لطبقاته ومكوناته . . الآن بعد رحيلها لا يمكن أن تطاوعنى نفسى على كتابة أغنية أسمعها بغير صوتها ! !

● أنت شاهد على عصر حافل بمتغيراته وتطوراته فى كل مجال . . ومذكراتك كفيلة بأن تعطينا ملامح هذا العصر بأكمله فى الشعر والأدب والموسيقى والغناء فلماذا لا تكتب لنا هذه المذكرات ؟

– أنا ابن الخواطر تعن لى فأسوقها بما أتاح لى الله من خاصية الشعر . . لست مؤرخاً ولا باحثاً اجتماعياً . . أنا شاعر ، ما عندى قلته شعراً وعند هذا الحد تتوقف مهمتى ! .

● ليكن . . هذا رأيك . ولكن كنا ننتظر منك كتاباً عن أم كلثوم ؟

– كثيرة هى الكتب التى تنشر الآن عن أم كلثوم ؟

● كتاب منك أنت بالذات شىء آخر ؟

– لو خطر لى هذا قبل رحيلها لكان من الممكن أن أفعل . . الآن من الصعب علىّ والجرح مازال ينزف أن أفعل ! !

● هل تحدثنا عن انطباعاتك وأنت تتلقى من الرئيس شهادة الدكتوراه الفخرية التى قدمتها لك أكاديمية الفنون تقديراً من الرئيس ومنها لمسيرة ممتدة منتجة فى درب الشعر والفن ؟

– اجتاحنى إحساس غامر بسعادة متناهية لدرجة أننى لم أستطع أن أكظم

دموعى التى غالبتنى فانفجرت . . لقد كرمتنى الدولة من قبل بمنحى جائزة الدولة التقديرية . . وفى تقديرى أن الرئيس كان يكرم فىّ هذه المرة مسيرة نصف قرن مع أم كلثوم .

● شوقى وأنت . أنقذتما فن الغناء العربى من الانحطاط الذى كان قد تردى فيه . هو يا كتبه لعبد الوهاب وأنت يا قدمته لثومة . . للحقيقة قيل لنا من كان أسبق منكما لأخذ زمام المبادرة ؟

– شوقى شاعر عظيم تتألق شاعريته فوق قمة القمم . . ولكنه لم يقدم فى مجال الأغنية غير عدد محدود قد لا يتجاوز أصابع اليدين . . ولكنى قدمت مئات الأغنيات .

● هل يمكنك أن تعرفنا بخصائص مدرسة كل واحد منكما فى الغناء ؟

– قلت لك شوقى شاعر وليس صاحب مدرسة غنائية . . لقد أراد أن يرفع عبد الوهاب فكتب له بعض الأغنيات . . ولكن الأغنية لم تكن جزءاً من اهتماماته ولا هدفاً من أهدافه . . وبعض ما يغنى له أخذ من دواوينه أساساً ولم يكتبه هو خصيصاً للغناء .

● ما السر فى أنك لم تستمر فى كتابة المسرحية الشعرية كما فعل شوقى وعزيز أباظة من بعده ؟

– لم أكتب غير مسرحية واحدة هى « غرام الشعراء » التى قدمتها السيدة فاطمة رشدى . . ولكنى لم أواصل ذلك إيماناً بالتخصص من جهة واكتفاء بأننى أجد التعبير عن نفسى فى القصيدة المفردة والأغنية . . وربما لو كانت أم كلثوم قد اتجهت إلى المسرح الغنائى لكان المسار اختلف ولواصلت كتابة المسرحيات من أجل المسرح الغنائى ومن أجلها ؟

● غنت لك أم كلثوم ما لا يمكننى الإحاطة هنا بتعداده . . وقد أبدعت حقاً فى كل ما غنته لك . . ولكن من وجهة نظرك ما هى الأغنية أو الأغنيات التى كانت أكثر توفيقاً فيها ؟

– عندما تدخلنى «بوفيهاً» عامراً بأطايب الأطعمة وأشهى المأكولات فمن الصعب أن أجاوبك عن الصنف الذى كان أحلى مذاقاً . . كل ما شدت به أم كلثوم كان رائعاً عندى . . كما هو رائع عند الناس .

يونيو سنة ١٩٧٦

obeikandl.com

obeikandl.com

الدكتور : حسين فوزى

الحضارة روح وعقل . . قبل أن تكون مصانع وأجهزة ! !

كان لقائى الأول به منذ سنوات فى مبنى التليفزيون . كان الروائى ثروت أباظة قد استضافه واستضافنى فى برنامج « شريط تسجيل » وقتها سمعت منه وجهات نظر فى منتهى الخطورة ، كان هذا الشيخ الرائد بركاناً يقذف الحمم ضد كل ما هو شائه فى أوضاع مصر . وحتى التليفزيون ، وقد كان هو فى عقر داره ، لم يسلم من حملته على برامجه الهابطة والسخيفة .

وأكبرت الرجل الجسور كما أكبرته من قبل كاتباً ، قرأت له أغلب ما كتب . . سعدت عندما اكتشفت عنده التوافق الرائع بين الكلمة والفعل . بين السلوك والفكر . بين الرجل والفنان . إنه الدكتور حسين فوزى أحد رواد نهضتنا الثقافية الحديثة . والذى يمكن أن نطلق عليه لقب « سندباد الثقافة المصرية » الذى ارتحل بنا فى بحور الحضارة . وطاف بنا سواحل المعرفة .

وعندما التقيت به مؤخراً فى «الأهرام» كان لدىّ الكثير من التساؤلات أنتظر لها منه إجابة ، ولكن وقت الرجل الضيق من جهة . وتوفيق الحكيم الذى كان يطاردنا مستعجلاً الخروج . منتظراً له من جهة أخرى ، لم يسمح بغير هذا الحديث المقتضب . .

● **قلت للدكتور حسين فوزى سندباد الثقافة المصرية :**

كيف استطاع الدكتور حسين فوزى الأديب . الطبيب ، عالم البحار . الموسيقى الرحالة أن يوفق بين كل هذه الاتجاهات وأن يتفوق فيها جميعاً فى الوقت نفسه . وأين يمكن أن يجد الأستاذ نفسه فى كل هذا . . أعنى فى أى جانب منها يجد أنه قد حقق ذاته بطريقة أفضل ؟

«من نظراته أدركت بأن السؤال ليس بجديد . . وكنت أعرف هذا مقدماً . . أعفانى الدكتور من أن أسوق له التبرير فقد أعطانى الإجابة . .

– أعتقد أن كل فعل أقدمت عليه وكل نشاط مارسته هو حسين فوزى ذاته ، لا أفضل نوعية على نوعية . . كل ما كتبته أو فعلته كان استجابة لصوتى الداخلى ولمكوناتى الذاتية . ولما هو أنا فى الحقيقة . .

وإذا كنت قد حققت ذاتى فإن التوق للمعرفة . والرغبة فى الاكتشاف هى التى أتاحت لى أن أنجح فى هذا . . إن المعرفة هى ضالة رجل الفكر والفن والعلم والأدب التى يجب أن يسعى إليها مهما كابد فى مسعاه . . ومهما أدمت المسيرة قدميه . . لا يستطيع إنسان أن يزعم أنه حقق ذاته بدون المعرفة .

● بالمناسبة ما هو رأيك فى فكرة التخصص ونحن فى عصر تعددت جوانب معارفه ؟

– طبعاً التخصص ضرورة يقتضيها زحام المعارف فى عصرنا . . ولكن ليس معنى هذا أن ينغلق الفنان أو العالم داخل الفرع الذى يزاوله . ويقفل على نفسه الباب دون الثقافات الأخرى ، فمثلاً كاتب القصة القصيرة لن يكون مجوداً فيها إذا لم يكن مثقفاً فى بقية فروع الإنسانيات من فلسفة مثلاً وعلم نفس واجتماع واقتصاد وغير ذلك . وقل هذا بالنسبة للطبيب أو عالم الرياضيات . . الجزء من خلال الكل . هذا ما أعنيه .

● هناك رأى يقول بأن العلوم الإنسانية مازالت متخلفة عن النمو الحثيث لعلوم الطبيعة والتقنيات . . ما الذى علينا أن نفعله – لوسلمنا بهذا – لتضييق هذه المسافة ؟

– أولاً أنا أعترض على هذا الرأى ، من قال إن العلوم الإنسانية متخلفة عن العلوم المعملية ؟

. .الإنسانيات معناها إنسان متحضر. متقدم الوعى والفكر والإحساس والسلوك ، وبدون هذه القيم ما كان يمكنه أن ينجز هذه الاكتشافات الباهرة وتحقيق تلك المعطيات العلمية المتفوقة ، وفى الدولة ذات التقدم العلمى لا فجوة هناك بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية .

إنهما وجهان لعملة واحدة أو جناحان لطائر واحد .

● جيلكم . . ما هو دوره وسط خريطة الأجيال التى صنعت نهضتنا الحديثة ؟

– دوره أنه بعد أن لاح له أول شعاع من المعرفة بعد ظلام طويل . . حاول أن ينمى هذا الشعاع وأن ينطلق على ضوئه فى الطريق الصعب ليبنى مصر جديدة . . جديرة بحضارتها القديمة . وجديرة بانتمائها للعصر الحديث . . كان جيلنا عاشقاً لمصر فى كل ما فعل وكان هذا العشق وراء ما اكتسب وما أعطى . .

جيلنا تعلم جيداً . واستهان بالمخاطر فى سبيل أن يتعلم . كانت البعثات وقتها شيئاً مشرفاً . كان المبعوث يختار بميزان الذهب . ويخضع لاختبارات صعبة . ولم ينل أى واحد بعثة بدون أن يكون جديراً بها بكل ما تعنيه الكلمة . . إن البعثات التى أوفدتها الجامعة منذ إنشائها هى التى بنت مصر الحديثة .

● عندما تعيد النظر فى مسيرتك فى درب ثقافتنا . هل تشعر بأنك راض عما أنجزته . أم أن هناك ما هو أفضل كنت تتمنى تحقيقه . وهل قلت ما لديك أم عندك بعد ذلك ما تقوله ؟

«ماكدت أنتهى من السؤال حتى انفجر البركان من الداخل فى نظراته الحارقة . . التى تقذف شواظ الغضب . .

هل كنت «قليل الأدب» . أم أنى افتقدت الذوق .

إجابة الدكتور تضمنت التأنيب فقط .

– أنا مندهش لسؤالك يا حامصى ، يرضى الإنسان عن نفسه عندما يتوقف نبضه . عندما يلفظ آخر أنفاسه . . أنا لم أشعر بالرضا عن نفسى أبداً . وحتى لحظة الموت لن أكون راضياً عن نفسى . . أنا دائماً مشروع جديد . . ومحاولة اكتشاف جديدة . . مازلت أشعر بأننى سأعطى فى كل وقت وفى كل مرحلة مادام فىّ نفس يختلج بالحياة . . إنى أيمم وجهى شطر المستقبل . . رجل الأدب والفكر والفن لا ينضب أبداً مادام متفتحاً على نبض العصر تواقاً إلى اقتحام المجهول ، وليس العطاء وقفاً على سن معينة ولا على مرحلة بذاتها . . هناك إضافات بالغة الخطورة والثراء أعطاها عباقرة فى مراحل متأخرة من أعمارهم . . المهم أن لا يتجمد الإنسان أبداً . وأن يشعر بأن الطريق أمامه مازال ممتدًّا وأن الاحتمالات مازالت قائمة .

● كتبت أنت ذات مرة تقول : العلم والرومانتيكية صديقان لدودان . وأنك

بفضل الدراسات الطبية وممارسة العلوم قد استطعت أن تتخلص من المرض الرومانسى . طيب . . لاشك أن العلم تحكمه قوانينه المادية الصارمة . ولكن ألا يكون الاكتشاف العلمى حلماً رومانسيًّا لدى الباحث يحققه بواسطة القوانين المادية . ؟

– مازلت متمسكاً برأيى . . الرومانسية مرض . مرض المراهقة . وربما الشباب . . عن نفسى فى شبابى كنت بركاناً . والدراسات العلمية هى التى أخمدت البركان . . رجل العلم رجل عقل محض . كل شىء بحساب . النتيجة هى بنت الأسباب . المتمخض هو وليد الفعل .

أما ما تسميه أنت الحلم الرومانسى ساعة الاكتشاف ، فأنا أسميها «لحظة التجلى» لحظة أن يكون الوعى فى ذروته . والعقل فى قمة يقظته .

● البعض يزعم بأن عصر القوميات قد انتهى . وأن مسيرة التاريخ تتجه الآن نحو شمولية الكيان الإنسانى الموحد . . هل توافق على هذا ؟

– ياليت ما يقولونه حقًّا . . مازال الإنسان برغم المسيرة الحضارية التى قطعها ، مازال أسير نظرته الضيقة وانتمائه المحدود . . ليس من الميسور القضاء على الشعور بالقومية . ولكن المطلوب أن تحقق القوميات سلاماً للإنسانية بأسرها وتكاتفاً من أجل مصيرها وقضاء على كل ما يتهددها من خطر أو ما يواجهها من عقبات ، بعدها يتحقق الانسجام بما يعطى الجزء بأن أمنه الخاص لن يتحقق إلا من خلال أمن الكل .

● كان لك رأى يقول بأنه من الخطل أن تقتصر البعثات على العلوم والتكنولوجيا والاقتصاد ، هل لديك أفكار تشير بها على الدول النامية بخصوص هذا ؟

– الروح لا يربى بالعلم وحده . . الحضارة روح وعقل وشعور قبل أن تكون أجهزة ومصانع ومنشآت . وعلى الدول النامية أن تدرك هذا . . أن تحترم كلية الآداب بنفس درجة احترامها لكلية الهندسة . . وأخص بالحديث الدول النامية التى تفجرت من باطن الأرض ثرواتها المادية بما يمكنها من استيراد أحدث الأجهزة العلمية . . الحضارة هى جهاز علمى متقدم . وإنسان عصرى متوازن .

● فى كتاباتك أشدت كثيراً بفعالية الدور الذى قامت به ترجمات محمد السباعى وغيره فى تكوين الإحساس الأدبى لدى جيلكم . هل تؤدى الترجمة الآن دورها بالنسبة للأجيال الجديدة ؟

– أعتقد أن الترجمة مازالت تواصل دورها فى خدمة الثقافة المصرية . .

● كتبت أنت القصة القصيرة . وكان لك دور فيها بين أبناء جيلك . أعنى ما يطلق عليه « المدرسة الحديثة » بالتحديد لماذا توقفت عن كتابتها ؟

– لم أتوقف عن كتابة القصة القصيرة . . ولكن هناك اهتمامات أخرى أخذتنى منها ، ولكنى كنت أعود إليها عندما أجد ما لا يمكن أن يقال إلا قصة قصيرة . والدليل على أنى لم أنقطع عن القصة القصيرة أننى مؤخراً كتبت بعض القصص القصيرة ونشرت فى صحيفة « الأهرام » ولكن يبدو أن الحركة الأدبية لم تأخذ بالها .

● بمناسبة القصة القصيرة . . فى السنوات الأخيرة داركلام حول ريادة القصة القصيرة وأنت تستطيع أن تعطينا الحقيقة أولا بحكم كونك من رجال « المدرسة الحديثة » وحتى لوكانت هناك محاولات سبقت مدرستكم فأنتم أعلم بها بحكم اقترابكم زمنياً منها . من هو رائد القصة القصيرة فى مصر؟

= الرائد الحقيقى لفن القصة القصيرة فى مصر هو محمد تيمور .

« ديسمبر » ١٩٧٤

obeikandl.com

نجيب محفوظ

● الأديب المجود . . أهم من الأديب المجدد !

ما أن تدق الساعة العاشرة صباحاً حتى يتحول «مقهى بترو» فى مواجهة البحر الأبيض المتوسط بالإسكندرية إلى منتدى ثقافى يموج بالحيوية والحوار فى الأدب والفن والسياسة والاقتصاد . . فإلى هنا يأتى توفيق الحكيم يوميًّا وكان يأتى تيمور ، ولكننا أصبحنا نفتقده ، وهنا نجيب محفوظ وثروت أباظة ودكتور حسين فوزى ، والفنان سيف وانلى وشريكة عمره والمخرج أحمد كامل مرسى . وإبراهيم فرج المحامى ، وعباس الأسوانى . . والموالد من حولهم تكتظ بالأدباء .

هذه المناقشات الخصبة فى كل ما يتعلق بالفن والحياة كنت أتمنى أن يعكف أحد على تسجيلها . . آراء تنطلق تلقائية وعفوية لا يشوبها التقنين ، ولا ينقص من سخونتها التنظيم . . خسارة هذه الأفكار . . أن تضيع !

أعربت لنجيب محفوظ عن رغبتى فى أن أجرى معه حديثاً . . رحب الرجل . .

«تحت أمرك» قالها بترحيب جم . اتفقنا على أن يكون الموعد صباح الغد فى مقهى صغير يبعد قليلاً عن «بترو» . . فى صباح اليوم التالى ذهبت إليه . . . وجدته ينتظرنى .

بالأمس كان بعض رواد الندوة قد أثار ما نشره الدكتور لويس عوض فى «الأهرام» عن الندوة التى عقدت فى لندن وتعرضت لأدب نجيب محفوظ حيث هاجمه الأديب حليم بركات واتهمه بأنه كاتب مساير غير منتم . . ومن خلال ما كتبه الدكتور لويس لم يكتم اتفاقه مع رأى حليم بركات .

● قلت لنجيب محفوظ ما هو ردك على زعم حليم بركات من أنك كاتب ورجل أيضاً مساير غير منتم وما هو تفسيرك لموافقة الدكتور لويس على هذا الرأى ؟

– تردد الرجل . . بان التردد فى صمته . . هل هو صمت الاستعداد أو صمت الإحجام ؟ ربما كان يريد أن يقول بأن الرد ليس مهمته . . إنها مهمة النقد .

قلت محاولاً أن أنقض على تردده قبل أن يصبح الصمت قراراً . .

● لابد أن أسمع رأيك . . إنها مسألة لا تخصك وحدك ، ثم لماذا تكون المعركة من طرف واحد ، إن من حق الخالق أن يتصدى للناقد إذا اجتاز الأخير حدود العمل الأدبى إلى شخص خالقه ذاته ؟

* * *

تدافعت الكلمات من فم نجيب محفوظ :

– أحب أن أجاوب بالملاحظات الآتية :

أولا – الانتقال من الحكم على عمل أدبى إلى الحكم على مؤلفه ليس من حق الناقد أساساً . إلا إذا كان يؤرخ للكاتب وأن يكون على بينة تامة بمن يكتب عنه . والأستاذ حليم بركات لم يعاشرنى ولم يعرفنى . وأقصى ما يمكن تصوره أنه سمع عنى

معلومات وغالباً ، وكما هو واضح ، فإن هذه المعلومات جاءته من غير أصدقاء .

ثانياً – إن العمل الذى استشهد به لينفذ بهذا الزعم «ثرثرة على النيل» ، هذا العمل يحتوى على شخصياته السلبية بجانب شخصياته الإيجابية . كما أن الشخصيات الإيجابية توجد بكثرة فى أعمالى الأخرى «اللص والكلاب» وأولاد حارتنا «والسمان والخريف» .

ثالثاً – إن العبرة بالسلبية والإيجابية هو المضمون وليس الشخصية . بمعنى أنه قد يوجد عمل حافل بالشخصيات السلبية ، ولكن روح العمل تدعو للإيجابية مثلما أعطيك عملاً يكتظ بالمنحرفين ، ولكنه فى جوهره دعوة إلى الفضيلة بمعناها العريض .

وتوقف نجيب محفوظ لحظة ثم عاد يواصل حديثه :

أما عن تهمة المسايرة . . فيما يختص بشخصى فتوجد نقطة غابت عن حليم بركات ، وقد سبق أن لفت نظر الدكتور لويس عوض إليها فى جلسة خاصة . . إنه يفترض أننى ضد ثورة يوليو ، ولذا فأنا أسايرها . . أما الحقيقة التى لا شك فيها فهى أننى أساساً أنتمى لثورة يوليو ولمبادئ ثورة يوليو . . أنا منتم للإصلاح الزراعى . للعدالة الاجتماعية . . وكل منجزات ثورة يوليو البناءة قريبة إلى وجدانى . وما زلت كذلك إلى الآن وإلى الغد . . ولكنى فى نفس الوقت بجانب انتمائى لها كنت أتناقض معها فى أمرين : سلبيات الذين أفسدوها عند التطبيق من جهة . وعدم استكمال ذاتها بالديمقراطية من جهة أخرى ! ولذلك كنت أنقدها من موضع الإنتماء لا من موضع الرفض . أنقد اللصوص . وأنقد الاستبداد . . ولو أنى كنت عدوا لثورة يوليو لتجنبت نقدها خوفاً من أن تستفيد بنقدى وتصلح من حالها .

أما الدكتور لويس عوض . فأنا أنقده فيما يتعلق بالمقال الذى ورد ذكرى به . فهو لم يكن موضوعيًّا بالقدر المنتظر منه ، فوجود شخص مثل لويس عوض فى مجال مثل

هذه الندوة التى أشار إليها فى إنجلترا يجعلنى أنا القارئ مشوقاً لمعرفة أشياء كثيرة . . مثلاً . . ما أسباب عقد الندوة . من حضرها من الأجانب قبل العرب . وما هى منزلتهم هناك . . كان يهمنى أن أعرف وجهات نظرهم قبل وجهات نظر العرب . . فالصلة بينى وبين العرب غير مقطوعة . كانت تهمنى معرفة رؤية هؤلاء الأجانب عن الشعروالمسرح والقصة عندنا . .

لويس عوض تجاهل كل هذه الأمور الهامة . وركز على مجرد بحث لشخص عربى لأنه يوافق رأيه . أو لأنه وجد له هوى فى نفسه . . فكأنما سافر لويس عوض إلى إنجلترا لمجرد أن يعبر عن رأيه فى نجيب محفوظ ! . . لماذا كل هذا التعب . . وكان من الممكن أن يقول لى هذا الرأى أو يقوله للقراء بدون أن يسافر !

أما كان أجدى بلويس عوض أن يعرفنا بالقضايا التى تدور هناك . . أن يعرفنا بماجدّ من تيارات أوما انحسر من مسائل ، وهو يعلم أن العزلة الثقافية فرضت علينا طويلاً ! .

من موقع القلق أكتب .

● أتاحت مناسبة الحديث عن الانتماء والمسايرة أن أجد السؤال . .

● قلت لنجيب محفوظ :

أعتقد أن الكاتب هو ضد شىء ما فى هذا العالم . ومن هنا تأتى أهميته بالنسبة لأمته وللإنسانية بأسرها . ما الذى شرعت به قلمك ليكون ضده فى عالمنا ؟

– « ألاحظ عن نفسى أننى لا أكتب إلا من موضع قلق . هذا القلق أساسه الاجتماعى قضية العدالة الاجتماعية . . كانت كتابتى عادة عن المقهورين . وحتى إذا تجاوزت الكتابة هذه الحدود إلى ما يمكن أن نسميه التأملات العامة . فهى تدور أيضاً

حول قضية العدالة بمعناها الكونى . الإنسان فى مواجهة المصير . . أمام القضاء والموت .

إن دوافعى للكتابة أساساً تنبع من هنا . . لذلك تجدنى بعد هزيمة يونيو اندفعت للكتابة حتى بدون أن يكون لدى موضوع متبلور . . كان الصمت عذاباً ، على أنه بعد ٦ أكتوبر وبعد ما بدأت نفسى تستشعر ، من ثقة وإحساس بالتفاؤل ، لم أكتب حرفاً . . وما لدى من أعمال جاهزة الآن مكتوبة قبل أكتوبر . .

عندما أطمئن . . يبدأ الصمت !

كانت فترة حافلة بالإرهاب والأكاذيب :

● بعد هزيمة ٦٧ بدأ التساؤل لماذا ! كان هذا التساؤل يؤرق وجدان كل إنسان عربى . . وكان من الممكن أن يفجر هذا التساؤل ما يجعلنا نمسك بخيوط المعوقات التى أدت إلى هذا الوضع . وفى أدبنا أيضاً أطل نفس التساؤل ، لماذا ؟ ولكن السؤال أجهض – فى اعتقادى – بسرعة . . أياد خفية كتمت أنفاسه – وفجأة غرق هذا الأدب فى موجات من التغريب والعبث والبهلوانية باسم المعاصرة . هذه الموجات قذفت الضباب فى وجه المحاولة . . هل كان الأمر طبيعيا . أم أن المسألة كان وراءها تخطيط يستهدف تمييع السؤال لنضل طريق الوصول إلى الحقيقة ؟ !

وأجاب نجيب محفوظ :

– «السؤال الذى طرحته أنت حقيقى وطبيعى ووجيه . . وكان يجب أن يلقى إجابات واضحة ومحددة . ولكننا كنا نعيش فترة حافلة بالأكاذيب والإرهاب ، ومن المستحيل أن ينشر فيها رأى بوضوح . . فلم يكن من سبيل أمام الأدباء إلا اللجوء إلى الكتابة والرمز والإشارة . كما فعل صاحب «كليلة ودمنة» . والذى يدلك على صدق

هذا الرأى أن الكناية نفسها قد صودرت . . أنا لم تصادر لى الأعمال إلا فى هذه الفترة «الحب تحت المطر» و«الجريمة» و«الكرنك» و«قلب الليل» كل هذه الأعمال لم تنشر فى الأهرام ، وعندما قدمت بعضها لينشر بعيداً عن «الأهرام» تدخلت الرقابة !

قبل الهزيمة كانت تغمرهم الثقة . فلم تكن تهمهم الكلمة . بعد ذلك شعروا بأن السفينة تهتز . فبدءوا يتخوفون من الكلمة وينتبهون لها . وأخذوا يتدخلون فى التعمية التى تحدثت عنها .

إن كتابات الشبان كان لها جانب فنى وجانب سياسى هما الاحتجاج . . كانت محاولة للكلام بأى شكل . ولعلك الآن تلاحظ أن أدب الوضوح بدأ يطل !

● هذا يؤكد بأن الفن لا يمكن فصله عن المناخ السياسى السائد ؟

– «بالتأكيد . . مسألة لا شك فيها . . فى ألمانيا أيام النازى . هاجر أفضل من تملكهم ألمانيا فراراً من الإرهاب . الأدب لا يترعرع إلا فى مناخ صحى من الحرية الكاملة ! » .

* * *

● قلت :

أفرزت النكسة أدبها فهل أفرز ما حدث فى أكتوبر أدبه . . وبالنسبة لك أنت بالذات هل كان لما حدث فى أكتوبر ما يدفعك لأن تقول فنا ؟

– فى الواقع ظهر أثر أكتوبر فيما يسمى بالأدب الإعلامى . . أما الأدب الفنى بمعناه الكبير فسيأتى غداً . وسيكتبه فى اعتقادى أدباؤه الجنود الذين خاضوا المعركة . كما حدث فى أوربا والولايات المتحدة فى أعقاب الحرب الأولى والثانية . . أما الكتاب الذين لم يتح لهم خوض المعركة فإن رؤية الفنان قادرة على أن يكون لديها ما تقوله . وقطعاً سينعكس أثر المعركة فى أدبهم رؤية وروحاً إن لم يكن وقائع وأحداثاً . . قد يأتى

هذا حتى من خلال قصة عاطفية . . أما أنا . . فأنا الآن فى فترة اطمئنان كما قلت لك من قبل وأنا أكتب من موضع قلق ! »

أدب العالم الثالث عليه أن ينطلق من أرض الإيمان :

● ثمة رأى يقول بأن موجات أدب العبث والتغريب بدأت تنحسر من العالم . وبدأ الأدب من جديد يتساءل عن الخلاص ، كما نلاحظ بأن وجهة النظر القائلة بأن مهمة الفن هو أن يساهم فى تغيير العالم وتطويره وتجميل الحياة والكفاح ضد كل ما هو شائه وشرير فيها . وجهة النظر هذه بدأت تتسع أرضها . إذ كيف يمكننا تغيير العالم قبل فهمه وتقنينه أولا . .

هل ترى ثمة غلبة قادمة لأدب الوضوح . . أدب الواقعية النقدية . والجمالية فى نفس الوقت ؟

– « التغريب فى الأدب . وكذلك العبث لا يأتى اعتباطاً . وإنما كانعكاس للإحساس بالاضطراب والعبث فى الحياة نفسها . وكلما تخلص الإنسان من سلبيات الحياة استعاد الثقة . رجع الأدب يعبر عن وظيفته الطبيعية البناءة فى خدمة المجتمع والحياة . . فى الحقيقة يوجد دائماً نوعان من الفن . . فن بناء مستوحى من الإيمان والانتماء لقضية . وفن عبثى مستمد من الشك والقلق من الحالات المرضية التى تغمر العالم . . يوجد النوع الأول فى أى مجتمع ينطلق من أرض الإيمان . كذلك أعتقد بأن هذا الأدب هو الذى يجب أن يسود فى العالم الثالث . هذا العالم الذى يتطلع إلى نهضة . . وأمامه مهمات محددة .

« وهنا خطر لويس عوض على ذهن نجيب محفوظ بمناسبة تواجده فى لندن ، فعرج بالحديث يقول » :

« أما كان أجدى بلويس عوض بدلاً من تركيزه على بحث يهاجمنى أن يحدثنا عن وضع الأدب فى أوربا الآن . . أما زالى الرفض شعاره . . هل وجد قضية يؤمن بها مثلاً . هل المصالحة بين الشرق والغرب بدأت تظهر فى الأدب هناك ؟ » .

● قيل عن نجيب محفوظ مرة بأنه يقف عقبة فى طريق الرواية العربية . من وحى هذا القول خطر لى السؤال :

● هل حدث تجاوز للحدود الروائية عندك من جانب جيل الشباب سواء فى مصر أو فى العالم العربى . أو على الأقل هل تلمح فى عطاء البعض إمكانات تجاوز قادمة . .

أرجو أن يكون رأيك بدون حساسية وبدون تواضع . وأيضاً بدون مجاملة ! ؟

– « الحقيقة أنا فى عالم الرواية جربت كافة أساليبها فيما عدا الرواية الجديدة أواللا رواية ، وإذن فكل ما يكتبه الروائيون من الأجيال التى جاءت بعدنا فى هذا النطاق لا يعتبر تجاوزاً لما كتبنا من ناحية التكتيك . ويقال – والله أعلم – إن بعض الروائيين العرب تجاوزونا وأنا للأسف لم أطلع على شىء من أعمالهم بسبب أزمة الحصول على الكتاب العربى » .

ولكنى أحب أن أضيف أنى لا أهتم بالتجاوز فى التكتيك ، فأنا شخصيا أعتبر أن الرواية تنقسم فى نظرى إلى نوعين رئيسيين : جيدة . أوغير جيدة .

والسؤال الذى يهمنى هو . ألم تكتب روايات جيدة وسط الأجيال التى جاءت بعدنا . والجواب بكل ثقة نعم . نعم . نعم . . هنا وفى البلاد العربية ، إذن فتيار الرواية العربية يسير فى تقدم وأمان . . يصح أن يكتب أحدهم رواية ويتجاوز من حيث التكتيك وحده . ومع ذلك تبقى عديمة الجدوى إذا ظلت فى إطار الألاعيب الشكلية وحدها . كما أحب أن أضيف بأن أغلب الذين اخترعوا وسائل التكتيك الجديدة ليسوا من كبار الكتاب .

والكاتب المجود . . أهم من الكاتب المجدد ! ؟

الشباب أضاف . . وفى أسوأ الظروف :

● قلت لنجيب محفوظ :

فى المجالات الأدبية الأخرى غير الرواية هل تعتقد أن الشباب قد أضاف شيئاً ؟

– «نعم . . أضاف شيئاً حقيقيا وفى أسوأ الظروف» .

النقد الآن فى أزمة حقيقية :

● يقال بأن هناك أزمة نقدية . . هل توافق على هذا . . ما هى أسبابها إن كنت تؤمن بوجودها ؟

– للحقيقة توجد أزمة نقدية خانقة . وأنا أتكلم بصفة خاصة عن مصر . . بل نستطيع أن نقول بأن الأديب اليوم يشق طريقه متجاهلاً للنقد ومتجاهلاً منه . وشىء واضح الآن أنك تجد حملة رهيبة ضد مسرحية أوفيلم وهو مكتسح النجاح . وبالعكس تجد تمجيداً لشىء هو لا شىء فى الحقيقة . . كيف وصل النقد إلى هذه الحالة السيئة ، لا شك أن لدينا نقاداً يملكون الموضوعية والأمانة والنزاهة والتأهيل من أعلى طراز ، ولكنهم لا يجدون مناخاً يحترم النقد ويقدره . . فيلوذون بالصمت . وكان يجب أن لا تخلو صحيفة أو مجلة من ركن للنقد تستكتب فيه كبار الأساتذة . . لقد وجد كثير من النقاد المنحرفين لشتى أسباب الانحراف ، وهؤلاء عصفوا بالثقة فى النقد . حتى أصبح ملاحظاً الآن بأن النقد لا يقرأ أو لا يكاد يقرأ من كثرة «المقالب» التى شربها القراء من هذا الصنف من النقاد . .

ولذلك فإن خير ما كتب فى النقد فى الآونة الأخيرة هو النقد الأكاديمى الذى

كتب عن عصور الأدب السابقة .

أقترح لكى يستعيد النقد مكانته وشخصيته والثقة فيه أن تصدر وزارة الثقافة مجلة للنقد فقط بجميع أنواعه لمسح كافة الفنون . . بجميع أنواعها . حتى تعود للنقد منزلته الأولى أيام نهضتنا الأدبية . . إن هذا النقد هو الذى صنع الأجيال التى تلت النهضة ! » .

● ما الذى أعطيته أنت وأعطاه جيلكم عموماً لحياتنا الأدبية ؟

– الذى فعله جيلنا فى اعتقادى هو أنه بتخصصه فى الرواية قد جعلها فنا عربيا أسياسيا . وبذلك مهد الأرض نحو الخطوة التالية المنتظرة وهى الانطلاق نحو العالمية . . قبل أن نأتى كانت هناك مجرد نماذج وأمثلة فحسب . . بعد جيلنا أصبحت الرواية هى الفن الأدبى الأول ! ؟

الحرية . . والانفتاح الثقافى ورفض الرقابة :

● الوضع الثقافى الآن . . هل لديك ما تقوله بشأنه . وهل لديك وجهة نظر فيما ينبغى أن يكون عليه هذا الوضع ؟

– « الجواب على هذا السؤال يحتاج إلى دراسة كبيرة ليس هنا مجالها . ولكنى أقول لك بأن أهم ما ينقصنا حتى تكون لنا حياة ثقافية حقيقية هو الحرية المطلقة . رفض الرقابة على الكتب وتخفيفها جداً بالنسبة للمسرح والفيلم . . الانفتاح الثقافى بكل شموله . يجب أن تعود لأسواقنا الكتب والمجلات العالمية حتى نكون على علم بما يجرى فى الخارج . . التشجيع المنظم والمتواصل لاكتشاف وتشجيع المواهب الجديدة بكافة الوسائل فى كل مجال » .

« نظر نجيب محفوظ إلى ساعة معصمه . . تجاهلت من جانبى هذه النظرة كانت

عندى أسئلة كثيرة أنتظر لها الإجابة . .

هممت بأن أطرح سؤالاً جديداً . ولكن توفيق الحكيم مر أمامنا فى محاذاة شاطئ البحر . . من جانبى رأيته أولاً . تغافلت ولم أنبه نجيب لمروره . خاب هدفى فقد لمحه نجيب محفوظ أيضاً . .

قال لى : أنظر . . الحكيم فى طريقه إلى «بترو» .

الأمر لله – أجبت . . هيا بنا . ولمست أوراقى وغادرنا المكان إلى «بترو» وما إن رآنى توفيق الحكيم حتى ابتدرنى :

«استفردت به أنت اليوم» .

قلت : الدور عليك غداً» واندمجنا فيما يدور من نقاش !

سبتمبر سنة ١٩٧٤

obeikandl.com

نجيب محفوظ

● كان الأدب مقرا . . وأنقذتنى السينما بفلوسها ! !

إذا كان نجيب محفوظ برؤيته الفنية المقتدرة ونفاذ هذه الرؤية داخل واقعنا الاجتماعى بكل جوانبه وأبعاده . فقد تمكن مع جيله من أن يجعل الرواية هى الفن الأدبى الأول فى عالمنا العربى ، بحيث أصبحت الآن تشكل أهم مساحة من خريطة حياتنا الأدبية ، وانطلاقاً من هذا فإن الأفلام السينمائية التى أخذت من رواياته . . بجانب السيناريوهات التى كتبها لأعمال زملائه من كتاب القصة تشكل هى الأخرى ملامح بارزة من ملامح السينما المصرية . ومن هذه الزاوية ذهبت إليه لأستطلع رأيه فى قضايا سينمائية هو طرف فيها . . وقضايا أخرى من المهم أن نعرف رأيه فيها . .

● قلت لنجيب محفوظ :

منذ متى أقتربت السينما منك . . فالمعروف أن هناك فترة طويلة من حياتك كنت تكتب فيها والصمت يحيط بك . . هل سعت إليك السينما فى حينها . . أو بعد أن

obeikandl.com

واتتك الشهرة العريضة ؟

– الواقع أن السينما عرفتنى قبل أن أعرفها . كان ذلك عام ١٩٤٧ على ما أعتقد . كنت قد كتبت «عبث الأقدار» و«رادوبيس» و«كفاح طيبة» و«خان الخليلى» و«زقاق المدق» وكانت «عبث الأقدار» هى التى رشحتنى للسينما ، فقد قرأها صلاح أبوسيف واستشف أن كاتبها يمكن أن يكون سيناريستا ، وجاءنى يعرض علىّ أن أكتب سيناريو فيلم «مغامرات عنترة وعبلة» . ولم أكن وقتها أعرف حرفاً واحداً عن السيناريو فتعلمت على يد صلاح خطوة خطوة كما يتعلم التلميذ حروف الهجاء . . وبعد أن انتهيت أهدانى مكتبة من السيناريو لأتعلم لغة السينما عمليا . . وظللت مدة طويلة أشتغل بكتابة السيناريو إذ لم تطلب منى قصة للسينما قبل عام ١٩٥٧ . . وكان للسيناريو فضل كبير علىّ كأديب . فقد عصمنى من العسر المادى الذى كنت أعانيه وكان الأدب وقتها رخيص السعر يباع بقروش . فأسعفتنى السينما بفلوسها . ولولا ذلك لكانت حياتى من الصعب تصورها . السينما مكنتنى من أن أقدم لها المطلوب لأتفرغ للأدب الذى أريده .

● نلاحظ أنك لا تكتب سيناريوهات أفلامك . . بينما تفعل ذلك بالنسبة لقصص غيرك . . ألا يكون صاحب القصة عندما يكتب لها السيناريو أقدر من غيره على توصيل خصائص قصته . . خاصة بالنسبة لكاتب متمرس مثلك يجيد لغة السينما ؟

– الحقيقة . . لم أجد فى نفسى أبداً أى استعداد ولا رغبة لأن أكتب سيناريو أى قصة لى ، ويجوز أن يكون السبب الرئيسى لذلك أن السيناريو يتطلب تحرراً من القصة الأدبية لتصبح قصة سينمائية . . وهذا التحرر أجده عندما أكون مشتغلاً بكتابة السيناريو لقصة مؤلف غيرى . . لحظتها لا أجد صورة قصصى «مخيشه» عندى . . ثم إنى أشعر دائماً بأن مهمتى تنتهى عند كتابة أى قصة من قصصى . . بعد أن أفرغ منها ينتهى

دورى بالنسبة لها . ولا أحب أن أعود إلى قراءة عمل لى بعد الانتهاء منه . . هذه طبيعتى . . حتى الطبعات الجديدة من رواياتى لا أقدم على تصحيحها . أحب أن أتخلص تماماً من أى أثر لأى قصة لى لأبدأ كتابة عمل جديد .

● يقال إنك بهذا تبتعد عن تحمل مسئولية فشل الفيلم – إذا قدر له أن يفشل – متذرعاً بأن مسئوليتك تنتهى عند كتابة القصة ذاتها كعمل أدبى ؟

– لم يبد عليه أن السؤال قد استثاره . . بهدوء جاءت إجابته . .

إذا كان هذا حقيقيا فكيف أجد الشجاعة لأكتب السيناريو لقصص كتاب كبار ؟

● هل استطاعت السينما أن توصل رؤيتك بأبعادها المتعددة من خلال الأفلام التى قامت على قصصك ؟

– علينا أن نتنبه إلى أن الكتاب إذا كان يمثل رؤية المؤلف خالصة . . فالفيلم يمثل هذه الرؤية من خلال عقول كثيرة . المخرج . المصور . المونتير وغيرهم ، فلابد أن يحدث تغيير حتمى . والمهم عند المؤلف فى هذه الحالة ألا يحدث انحراف أو تحريف لفكرته الأساسية . وعليه أن يضع فى الاعتبار أن المجموعة الجديدة هى صاحبة القدرة على مخاطبة الجماهير بلغة السينما . وليس له هو هذه القدرة لأنه يخاطب قطاعاً محدوداً يتمثل فى القلة المثقفة . .

● بالنسبة للقصة الأدبية التى تباع للسينما . هل تنتهى مهمة المؤلف عند توقيع عقد البيع ويكون من حق من اشتراها أن يراها من الزاوية التى يشاء . أو من حق المؤلف أن يضع اشتراطات معينة يحافظ بها على القسمات الأساسية لروايته عند التنفيذ ؟

– من حق المؤلف أن يفعل ذلك . . إذا خشى على قصته من الضياع ، ولكن هذا لا يحدث غالباً لأن معظم من تقدم السينما أعمالهم الأدبية يتعاملون مع الوسط الإنتاجى بروح الثقة والتفاهم . . والاتفاق الضمنى على الصورة التى تقدم بها القصة

مهما تغيرت وجهات النظر وتباينت الزوايا التى تقدم منها . . ما دام روح القصة لم يمس أساساً . .

● أخرج لك صلاح أبوسيف وحسن الإمام . . وحسام الدين مصطفى . . وحسين كمال . . ويوسف شاهين . من منهم كان أكثر توفيقاً فى النفاذ داخل أعمالك وبلورتها سينمائيا ؟

– بلا مجاملة كل منهم أجاد فى حدود مفاهيمه وأسلوبه الخاص – فى اختيار الطريقة التى وجدها ملائمة لتقديم عملى . وكان صادقاً مع نفسه فى اختيار الأسلوب الذى يراه أقدر على ذلك . .

● لك أعمال أدبية تحمل طابع مرحلة فنية معينة . مثل «زقاق المدق» و«بداية ونهاية» والثلاثية وغير ذلك . وأعمال أخرى أخذت مساراً مختلفاً من حيث الرؤية والمعمار الفنى . مثل «الشحاذ» و«ميرامار» و«ثرثرة فوق النيل» أى مرحلة منها كانت السينما أكثر إجادة فى التعبير عنها ؟

– فى اعتقادى بالنسبة للأفلام السينمائية التى قامت على رواياتى لا توجد مرحلة أفضل من مرحلة بالتحديد القطعى . . هناك على الأصح أفلام أحسن من أفلام . . ففى المرحلة الأولى نجد أفلاماً قد بلغت ذروة التفوق والامتياز ، ونفس القول ينطبق على المرحلة الثانية . وهناك أفلام لم تصل إلى هذا الامتياز ، لا فى المرحلة الأولى ولا فى المرحلة الثانية . .

● على ضوء الاتجاهات التجريبية التى بدأت تجرف السينما عالميا . حيث أصبحت لغة الكاميرا هى الإيقاع الأساسى فى الفيلم . . ما هو دور القصة الأدبية مستقبلاً ؟

– المخرج لكى يكون مؤلفاً يحتاج إلى موهبة التأليف بما يعادل تماماً موهبة الإخراج وإجادة استعمال الكاميرا . وأعتقد أن هذا النوع من رجال السينما هم أقدر الناس على

إعطاء فيلم سينمائى متكامل الرؤية . . فإذا كان الروائى يفكر من خلال الكلمة . . والمسرحى من خلال الدراما . . فصاحبنا هو الذى يفكر فى موضوعه من خلال اللغة السينمائية مباشرة . وهنا تصلنا هذه اللغة تلقائيا لا فجوات فيها ولا شروخ . . أما فى الوضع التقليدى للفيلم فسيكون عندنا مؤلف ومخرج . . ثم محاولة للتعبير باللغة السينمائية تعتمد على التوفيق بين رؤى متباينة من خلال التنسيق بينها . . حتى لتكاد تشبه الترجمة أحياناً . .

والمشكلة أساساً هل يوجد من المخرجين المؤلفين ما يكفى للإنتاج السينمائى . . إذا لم تكن الإجابة تأكيداً فلا غنى للفيلم عن القصة سواء كانت مكتوبة للسينما أصلاً أم مستمدة من قصة أدبية . .

● فيلم «الاختيار» إلى أى حد تقاربت رؤيتك مع رؤية مخرجه . وإلى أى مدى تباعدت ؟ .

– الحقيقة أن يوسف شاهين كان صاحب فكرة الفيلم وكاتب السيناريو ، وكنت أنا مؤلف القصة . . وأنا لا أقدم على تأليف قصة للآخرين فى السينما إلا تحت أحد شرطين : أن تكون موافقة لرؤيتى أو على الأقل لا تخالفنى . بالنسبة «لاختيار» الفكر الذى فيه لا يخالف رؤيتى . .

● من هى الممثلة التى أدت دوراً فى واحدة من رواياتك بالطريقة التى تمنيت أن تراه بها على الشاشة ؟

– التمثيل بدون شك هو من أقوى العناصر الفنية فى الفيلم المصرى . وأحياناً أفكر بأن العناصر الفنية الأخرى للفيلم لوكانت فى مستوى الأداء الرائع من بعض طاقاتنا التمثيلية لوصل الفيلم المصرى إلى العالمية بحق . . وبالنسبة للسؤال . . شادية وسعاد حسنى ونادية لطفى وسناء جميل ، كل واحدة منهن أدت دورها فى رواياتى بطريقة

تتسم بالاقتدار الفنى المتمكن .

● أخذ القطاع الخاص فى السينما حرية لم تكن متاحة له . وبدلاً من أن يشكر هذا فيقدم أفلاماً نظيفة وذات مستوى ، وجدناه – وخاصة العناصر المتطفلة على المهنة – يغرق السوق ببعض أفلام لا أقل من كونها هابطة ومبتذلة . إنهم يستهدفون الربح على حساب أى شىء ، بل لعلهم فى الماضى كانوا أكثر مراعاة للاعتبارات الأخلاقية ، هل لديك ما تقوله لهؤلاء السادة الذين عندهم حب الفلوس وليس عندهم بعد النظر؟

– أوافقك تماماً على أن أكثرية الأفلام دون المستوى المطلوب . . وأن الجيد قليل . ولكن علينا أن ندرك أن مطالبة رأس المال بالتضحية بالربح فى سبيل الفن مطلب عسير . . ولكن من الممكن ملافاة الحال بأمرين . .

أولاً – أن تقتصر هيئة السينما فى إقراضها للمنتجين على الأفلام الجادة بكل ما تعنيه الكلمة وألا تنظر نظرة تجارية بالنسبة للإقراض ، إذ يجب أن تكون نظرتها فنية واجتماعية بحتة . . وأعتقد أنها فى جميع الأحوال سوف تستطيع أن تسدد القرض .

كما أنه يجب عليها أن تعود إلى الإنتاج ولو فى نطاق محدود . . نطاق إفساح المجال للمواهب الجديدة التى أثبتت جدارتها .

ثانياً – أنت تعلم أن يوسف السباعى أخضع دور السينما الأجنبية لصالح الفيلم المصرى . وأن هذا القرار هو صاحب الفضل الأول فى نجاح ورواج الفيلم المصرى لأنه فرض على جميع الرواد – وكلنا يعلم أن رواد الفيلم الإفرنجى كانوا هم الأغلبية الساحقة من جمهور السينما – ففضل الرواج الهائل يرجع أولاً وأخيراً إلى هذا القرار . . وهو حق للسينما المصرية باعتبارها نشاطاً وطنيا يحتاج للتشجيع والحماية . . ولكن فى الوقت ذاته لا يجوز أن تكون هذه الحماية مطلقة . . فالامتياز فى العرض يجب أن يقتصر على الأفلام الجيدة دون الهابطة . . وعلى الأفلام الهابطة أن تنتظر دورها للعرض فى الدور

المصرية . . فلا بأس من تأخيرها . . بل لعل الخير فيه . . وبشرط ألاّ تعرض الدور الأجنبية إلا أفلاماً ممتازة ، أما إذا كنا سنؤخر فيلماً وطنيا هابطا لنفسح الطريق لفيلم أجنبى هابط . . فالهابط الوطنى أحق بالعرض طبعاً . بهذا الأسلوب يمكن مقاومة الهبوط فى السينما وضمان عدم عرض أفلام غير ناضجة مصرية وأجنبية .

● بالمناسبة . . ظاهرة رواج الفيلم المصرى هل ستحقق له الاستمرار؟

– أولاً رواج الفيلم المصرى أساساً مفيد وتستحقه السينما المصرية . . وهذا الرواج من شأنه أن يشجع المنتج المصرى على الارتفاع بالمستوى . . فالربح منطلق للتجويد أكثر من الخسارة والإفلاس ، ولكن يجب أن نضع ضوابط بالشروط التى ذكرتها فى الإجابة السابقة . . وأحب أن أذكرك فى هذه المناسبة بأن أول من أظهر المخرج الممتاز لفيلم «أريد حلا» كان رمسيس نجيب . . كما فعل القطاع العام عندما أظهر موهبة شادى عبد السلام ، من هذا نجد أن المنتجين الكبار يعرفون واجبهم . . وإنما الخوف يأتى من المتطفلين والمغامرين . . وبهذه المناسبة أجدنى أتساءل لماذا لم يصدر حتى الآن قانون صناعة السينما وكذلك قانون نقابة السينمائيين . . . إنهما يكفلان مناخاً أفضل للارتفاع بالمستوى وإبعاد المتطفلين من ساحة المهنة .

أما بالنسبة للرواج فسوف يستمر ما دام الفيلم المصرى مكفول العرض . . وهناك ملايين لا ملهاة لها غير السينما سواء أسرها الفيلم أم أسخطها . .

● أين تقف أنت من وجهة نظر تحديد عرض الفيلم بأسابيع محدودة مهما حقق من دخل وذلك لإفساح المجال لأفلام أخرى تنتظر العرض . . ومن وجهة نظر مضادة ترى أن يستمر الفيلم ما دام يغطى نسبة الدخل الأسبوعية المقررة لاستمرار عرضه ؟

– لا يخفى عليك أن النشاط الاقتصادى كان حرا بلا قيد . . فلما ألحقت حريته ضرراً بالناس نشأت نظريات لتحقيق العدالة الاجتماعية وأوجبت الحد من حرية

القادرين ضماناً للعدالة العامة . . فما دام عدد دور العرض محدوداً . . وما دام الفيلم المعروض قد غطى تكاليفه وربح ففى هذه الحالة يجب أن تعطى الفرصة لغيره . . ولهذا فأنا من أنصار التحديد حتى تتوفر دور العرض الكافية . وخاصة إذا تذكرنا أن الرواج ليس دائماً صنو الجودة .

● ما هو موقع السينما المصرية الآن من خريطة السينما العالمية ؟

– السينما لا تخرج عن كونها نشاطاً من أوجه النشاط العام بتأثر وضعها بدرجة الحضارة التى بلغتها الأمة . . فلا تتوقع أن نكون من العالم الثالث فى كل شىء ما عدا السينما . . والواقع أن الذى يحدد مستوى الفيلم فى النهاية . . عقل وكاميرا . وجمهور ودولة . .

● البعض يقول بأن أفلام زمان كانت أفضل من أفلام هذه الأيام ما رأيك ؟

– كل ما يمكن أن يقال . . إن اتجاه الفيلم فى بدايته كان أقرب إلى التجويد . والرغبة فى تثبيت صناعة جديدة فى الواقع المصرى ، ولهذا كان أبعد من الروح التجارية البحتة . . لكن لا شك أن الأفلام الجيدة الحديثة تفوق بمراحل المستوى الفنى للأفلام القديمة .

● الأسماء الجديدة فى السينما من حيث الإخراج والتصوير والتمثيل هل شكلت عندنا ظاهرة سينمائية متميزة ؟

– لا شك أن المواهب الجديدة أثبتت قدراتها وجدارتها . وأنها فى أى ظرف من الظروف تبحث عن الجدية وتحترم الفن وتسعى إلى التجويد .

● بالنسبة للدول النامية التى تواجه مشاكل تطوير واقعها المتخلف . . أى الاتجاهات السينمائية ألزم لها لتمكينها من القيام بدور ما فى دفع واقعها إلى الأفضل ؟

– أكثر ما تحتاج إليه الدول النامية هو الفيلم الواقعى التربوى بالمعنى الإنسانى العام .

ولعل حاجتها إلى الأفلام الروائية القصيرة والتسجيلية أكثر من حاجتها إلى الأفلام الروائية . .

● قلت لنجيب محفوظ :

مهما اختلفت النظرة إلى السينما بين عديد الاتجاهات فهناك شبه إجماع على أنها وسيلة اتصال جماهيرية بالغة الخصوصية والتأثير . . ومهمة أى فن فى اعتقادى هى أن يطور العالم . . أن يسهم فى تغييره إلى الأفضل . . ولكننا نلاحظ أن موجات التجديد فى السينما أصبحت غالباً تعتمد على لعبة الإبهار بالشكل . . وبدلاً من أن تقدم للمتفرج العادى مفاتيح لفهم العالم تقذف فى وجهه بالتعقيد والإغراب والضباب باسم المعاصرة . . وقد بدأت هذه الموجات تتسرب إلى السينما فى الدول النامية التى لم تحل مشكلة الحفاء والغذاء بعد . . هنا يتبادر سؤال . . كيف يمكننا أن نغير العالم إذا لم نفهمه . . أولاً . .

أنت كرجل فكر وفن ، وبالتأكيد تشكل هذه المسألة جانباً من همومه . . فى رأيك . . كيف يمكننا أن نحقق التوازن بين وجهة النظر المتسائلة . . لماذا لا تقدم ما يفهم . وبين الإجابة المعترضة . . ولماذا لا تفهم ما يقدم . .

– أى فن فى الدنيا له جمهور أساسى . ولا يجوز لفن أن يتجاهل جمهوره الأساسى . وإلا لما كان هناك مبرر لوجوده . فالكاتب يتحمل المسئولية أمام قطاع معين ربما يصل إلى عشرات الألوف ، ولكنه فى النهاية يعتمد علىّ ويخاطب نوعية معينة من الناس ولكن الفيلم يتحمل مسئوليته أمام عشرات الملايين . . والمسألة الجوهرية والصعبة ليست كيف أعبر عن ذاتى . . وإنما كيف أعبر عن ذاتى وأن أصل بهذا التعبير إلى جمهورى دون التضحية بالقيم الفنية . . أى اختلاف فى ركن من هذه الأركان على الفنان أن يتحمل مسئوليته . . إنها عملية غير مجدية بل عملية مضحكة أن أصنع فيلماً

ليصفق له الناس فى باريس ولا يستفيد منه أحد هنا.. لهذا اقترحت أن تعود الهيئة إلى الإنتاج لمساعدة المجربين فى نطاق بعيد عن التجارة . . لتصبح أعمالهم أشبه بالأمثلة والنماذج . ومن خلال الحوار الذى يدور حولها يمكن أن تكشف السينما المستقبلية الطريق الأفضل للتعبير عن رؤيتها . .

● ما رأيك فى تجربة تقديم الأعمال الأدبية العالمية معربة سينمائيا كما فعل حسام الدين مصطفى بقصة «الإخوة كرامازوف» التى قدمها هنا فيلما باسم «الإخوة الأعداء» وهل استطاع حسام أن يقدم خصائص القصة مع تطويعها للبيئة المصرية .

– استفادت السينما دائماً بشوامخ الأعمال الأدبية العالمية . لقد شاهدنا روائع الأدب الفرنسى والإنجليزى عن طريق الفيلم الأجنبى وعندما يبادر مصرى للاستفادة بهذه الأعمال فإن الإمكانات المادية تحول بينه وبين تقديمها فى أماكنها الأصلية كما يفعل الفيلم الأمريكى . . ولا تصبح لديه وسيلة غير التصوير . . وبفضل هذه الطريقة أمكن لجمهور عريض من غير المثقفين أن يتذوق دستويفسكى وغيره . . إنها طريقة يجب أن تدخل فى برامج إنتاجنا . . وبخاصة إذا علمت أن هذا الإنتاج يعتمد على «لطش» الأفلام الأجنبية غير ذات المستوى ، وبالنسبة لفيلم «الإخوة الأعداء» فيؤسفنى أننى لم أره حتى أصدر حكماً . . هل رأيته أنت . . ما رأيك . . ؟

● «قلت له انطباعاتى عن الفيلم . . ولن أذكرها هنا فالقارئ يهمه رأى نجيب محفوظ لا رأيى أنا» .

عدت أتابع الحديث مع نجيب قلت : من هو الوجه السينمائى الذى تريحك مشاهدته على الشاشة . . وما هو الصوت الغنائى الذى تعطى له أذنك بارتياح أيضاً . . ومن هو الممثل المصرى الذى ترشحه للعالمية ؟

–وجه سعاد حسنى أرتاح لمشاهدته على الشاشة . . وبعد أم كلثوم أحب أن أسمع

صوت فيروز وعفاف راضى . . ومحمود مرسى هو الممثل المصرى الذى يصل إلى مستوى كبار النجوم العالمين .

● سؤال أخير . . كنت أعرف سلفاً أنه لن يجيب عنه : ابنتك لوفرض وعرض عليها أن تمثل فى السينما هل توافق ؟

– أطرق طويلاً . . بعد الصمت نظر إلىّ . . فهمت لغة النظرة . . امتنع عن الإجابة مهما يكن من أمر ، كان الامتناع يتضمن الإجابة وإن كانت غير مباشرة .

« مايو » ١٩٧٥

obeikandl.com

نجيب محفوظ

الأديب لا يعرف الطبقات . . دائماً يعرف الإنسان ! :

تعودت فى كل حديث أجريته مع أديبنا الكبير نجيب محفوظ . أن أطرح عليه تساؤلاتى وأن أتحاور معه فى قضايا ذات جوانب متعددة ومتباينة . فى السياسة والأدب والثقافة والفنون ، مستطلعاً وجهات نظره التى تضيف إلى رؤيته الفنية التى يحققها من خلال أعماله الإبداعية . . لكن هذه المرة عندما أزمعت إجراء هذا الحديث معه لم يكن فى خاطرى إلا فيلم « الكرنك » المأخوذ عن قصة له تحمل نفس العنوان ، فالفيلم بما يدور حوله وبما أثاره من تعليقات وآراء . . وبعشرات الألوف الذين تدافعوا لمشاهدته يوشك أن يصبح ظاهرة سينمائية . وغداً يشكل مساحة شاسعة لا بالنسبة للمشتغلين بمسائل السينما والفن فحسب . . وإنما أيضاً بالنسبة لقطاعات عريضة من جماهير شعبنا .

وحول الفيلم وما يثيره . . كان هذا الحديث مع كاتبنا المبدع الكبير نجيب محفوظ .

obeikandl.com

● قلت لأديبنا نجيب محفوظ :

فيلم الكرنك المأخوذ عن قصتك التى تحمل نفس الاسم . . هل حقق رؤيتك التى تضمنتها القصة . . أقول هذا لأننا تعودناك دائماً تقول بأن علاقاتك بأى فيلم مأخوذة عن قصة لك تنتهى عند القصة ذاتها ؟

– وأجابنى نجيب محفوظ فى حماس واضح :

– حقق الفيلم رؤية القصة لدرجة كبيرة. وزاد على ذلك تغطية الفترة الزمنية التى تلت مرحلة كتابة القصة ، ولقد عاب البعض على ممدوح الليثى الذى أدمج حرب أكتوبر فى الفيلم ولا غبار عليه فى هذا . . والحق أن حرب أكتوبر لوكانت قد حدثت قبل أن أفرغ من كتابة القصة ، لكنت أعدت النظر فى الصورة التى ظهرت بها القصة . إن حرب أكتوبر تمثل شيئاً إيجابيًّا مشرفاً . . وإذا كانت قد توقفت عند لحظات المرارة الشديدة فقد فعلت هذا مضطرًّا لأنى كنت أستهدف توافقاً مع مضمون العمل وتوافقاً مع ما استهدف التعبير عنه . وتوافقاً مع رؤيتى ككاتب عليه أن يصور الحقيقة بغير ما تغطية لمدلولها . . وأعود للقول بأن حرب أكتوبر لوكانت سبقتنى لأعدت النظر فليس المفروض أن أغم الناس ! !

● الكرنك . . بعيداً عن قيمة القصة كنص أدبى . . من فى رأيك كان له التفوق من حيث الفيلم السينمائى . . الإخراج . . السيناريو . . التصوير . . التمثيل ؟

– أساساً يجب أن نبعد الإخراج من القضية هنا . . لأن الإخراج مسئول عن كل شىء فى الفيلم . . أى فيلم . . على عاتقه تقع مهمة تفوقه . . أو نتائج انهياره ، إن أى تقريظ للفيلم ينسحب على الإخراج وأى قدح فيه هو إدانة له . . إن بقية العناصر تتحمل مسئوليات جزئية ، أما الإخراج فمسئوليته شمولية . . تبقى بقية العناصر التى ذكرت ، لقد تضافرت جميع هذه العناصر فى إنجاح الفيلم ولكن عنصر التمثيل كان

واضح التفوق . . فما بالك بفيلم مثل الكرنك توفرت له عناصر تمثيلية ممتازة ، إن دور فريد شوقى لا يمكن أن ينسى . . فريد طوال عمره ممثل محبوب . . ولكن أعماله الأخيرة تؤكد أنه فنان خصب ينطوى على إمكانيات فنية هائلة . . (الكرنك) يقول هذا و«مضى قطار العمر» يشهد بذلك . . إنه فنان قادر على التطور . . والعطاء المتفوق . .

● لا أعتقد أن فيلماً عربيًّا أوأجنبيًّا فى مصر قد حقق من الإيرادات المذهلة ما حققه فيلم الكرنك الآن . . على الأقل فى حدود ما أعرف . . قد يكون الفيلم ممتازاً وأنا لست هنا بصدد رأيى الخاص فيه – ولكن هذه الإيرادات المذهلة هل ترجع إلى دعاية أعطاها صلاح نصر مجاناً للفيلم بواسطة الدعوى التى رفعها ضده . . فهو بهذا قد نبه الجمهور إلى أن الفيلم يدور حول الإرهاب الذى تعرض له بعض الناس بواسطة أجهزة القمع ؟

– نجاح أى فيلم يرجع أساساً إلى عاملين أساسيين . . عامل أصلى هو مضمون الفيلم المؤدى بقيمة فنية معينة وعوامل غير أصلية ، ولكن من غيرها لا يتحقق النجاح للفيلم ، عوامل تتعلق بجذب الجمهور إلى الفيلم على رأسها النجوم . . ثم الدعاية . . وفيلم (الكرنك) توفرت له كل العوامل الأصلية والفرعية .

مضمون يعرض فى لحظة تستقطب اهتمام كل الناس بالسياسة . . نجوم على أعلى المستويات . . دعاية جاءت له من السماء . كل هذا جعله يحقق النجاح الذى لم يحققه فيلم مصرى آخر . . الدعاية مهما تكن ضخامتها لا يمكن أن تنقذ فيلماً هابطاً من مصيره . . لأنها قد تخدع الجمهور بمجرد حفلة واحدة أوأكثر ، ولكن بعد ذلك تتضح ويواجه الفيلم مصيره . . الدعاية تجلب الناس للشىء الناجح لتؤكده . . أما الشىء الفاشل فلا قوة فى الأرض يمكنها أن تنقذه . . سذاجة أن يقال إن أى فيلم قد نجح لدعايته أونجومه . . الفيلم كل متكامل من حيث الموضوع والإخراج والسيناريو

والتمثيل . والتصوير والمونتاج وبقية المؤثرات التى تعطينا الفيلم فى صورته النهائية .

● ما هى الحيثيات التى اعتمد عليها صلاح نصر فى رفع الدعوى ضد المنتج وضدك ؟

– أعتقد أنه يتعرض لمحاكمة فى دعاوى مرفوعة ضده ولا يصح أن يكون عرضه لهجوم من أى نوع من شأنه أن يؤثر على مركزه ، وقد بلغه أن شخصيته فى الفيلم بالاسم ، فلما عرض الفيلم تأكد له أن ما وصل إليه غير حقيقى . . واتضحت هذه الحقيقة للمحكمة فلم تأخذ بوجهة نظره فى منع عرض الفيلم . . خالد صفوان من خلال الفيلم رمزاً للإرهاب ولكنه لم يتحدد بشخص معين :

● على ضوء الأفلام السياسية التى عرضت فى مصر . . «زائر الفجر» و«الكرنك» هل بلورت السينما المصرية رؤية سياسية لها ملامحها الخاصة ؟

– إن الفيلم عموماً هو نوع من نقد المجتمع يستهدف التركيز على قيمة معينة من خلال إدانة نقيضها أو الهجوم على شىء معين للإيحاء بالبديل له . . وهو بهذا يصبح سياسيًّا فى حقيقته ولكن بطريق غير مباشر . . أما الفيلم السياسى فهو نقد للحياة السياسية أو بعض جوانبها من خلال وضوح الزاوية السياسية التى ينطلق منها . . ومن هذه الناحية أعتقد أنه قد حقق أغراضه . .

وهناك نقطة أحب أن أتوقف عندها . . مغالطة أن يقال إن الفيلم السياسى بدأ من سنة ١٩٧٥ أو أن يؤرخ له من هذا العام . . إن الأفلام السياسية لم تبدأ حديثاً ، حتى قبل ثورة يوليو كانت هناك أفلام سياسية أذكر منها فيلم «لاشين» ، بعد الثورة هناك الأفلام المأخوذة من قصص سياسية . . أما أن يقال إن الفيلم السياسى بدأ اليوم فهذا زعم لا يقوم على أساس من الناحية التاريخية . . ثم ماذا يقال عن أفلام مثل «رد قلبى» و«فى بيتنا رجل» و«هارب من الأيام» و«شىء من الخوف» و«الأرض»

و«يوميات نائب فى الأرياف» وغيرها . . والأصح أن يقال عن «زائر الفجر» و«على من نطلق الرصاص» «والكرنك» أنها آخر أفلام سياسية وليست أول الأفلام السياسية .

● فى رأيك . . هل الذين يقدمون على إنتاج الأفلام السياسية فى مصر . . يستهدفون الربح عن طريق النجاح الذى تحققه إثارة الأفلام السياسية . . أوهم أصحاب رسالة يتوخون تأكيدها بهذه الأفلام ؟

– أنا لا أستطيع أن أجوس داخل السرائر لأحكم عليها . . ولكننى أستطيع القول – لوكنت منتجاً – بأن هناك هدفين لا يغيبان عنى . الجودة من جهة . . والربح من جهة أخرى . . لأننى عندما أقول لك : لقد نويت يا عبد العال أن أشتغل منتجاً ولا تعنينى مسألة الربح فى شىء . . فأنت حينئذ سوف تشك فى عقلى . . ولكن العيب أن أقول لك إنه لا شىء يعنينى غير الربح وحده . . ولأضرب لك مثلاً . . هناك تاجر أمين ولكنه يستهدف مثلاً الربح ، وهناك تاجر غشاش لا يهمه غير الربح . . إن كل المنتجين الأصلاء يقدمون الفن الجيد وفى خاطرهم الربح . . أما الدخلاء على مهنة السينما أساساً فهم الذين يفكرون فى الربح وحده ! !

● شاهدنا فى السنوات الأخيرة هنا بعض الأفلام الأجنبية السياسية الممتازة «زد» و«قضية ماتيه» و«انتهى التحقيق» هل يمكن أن يقف «الكرنك» ندًّا لهذه الأفلام ؟ .

– للأسف سمعت عن هذه الأفلام وقرأت عنها ولكن لم تتح لى فرصة مشاهدتها ليمكننى الإدلاء برأى يستند على الموضوعية ، فى العشر السنوات الأخيرة لم أشاهد إلا أفلاماً تعد على أصابع اليد الواحدة . . وبالنسبة لهذه الأفلام فأنا أعتقد من خلال مشاهدتى لفيلم الكرنك ومن خلال ما قرأته عن هذه الأفلام فإن فيلم الكرنك لا يقل

عنها امتيازاً مع اختلاف المستويات والإمكانيات بين هنا وهناك ! !

● هناك وجهة نظر تزعم أن رؤية الفيلم تؤكد على ثورية الطبقة المتوسطة وصلابتها بينما تدين الطبقة الكادحة . . إذ لم تتحمل تعنت الإرهاب . وانهارت فى النهاية ، بل أصبحت فى خدمته . . هل كانت روايتك تعنى هذا . . وهل لوكان لك دور فى إعداد الفيلم كنت توافق على أن ينحو الفيلم هذا النحو؟

– الواقع أن الطبقة الثورية بالمعنى المقصود فى مصر وفى غيرها نشأت أساساً من البرجوازية الصغيرة . . والطبقة الكادحة فى الفيلم هى ثورية أيضاً . . والانحراف لم ينشأ من داخلها . وإنما فرض عليها قهراً . . وأنا لم يكن فى خاطرى أن أركز على طبقة معينة . . إن أى أديب يكتب لا يكون فى ذهنه سوى الإنسان ، أما التحديد الطبقى فيأتى أساساً من المنتمين للنظريات السياسية . . ومرة أخرى أكرر أن الأديب لا يعرف الطبقة وإنما يعرف الإنسان . وأنا عمرى لم أفكر فى طبقة بعينها إطلاقاً . . إن العاطفة الأساسية فى رواياتى هى السعى للعدالة الاجتماعية للمجتمع ككل وليس كطبقة . . إن العدالة قيمة إنسانية فى صالح جميع البشر حتى الأغنياء الذين تتم على حسابهم العدالة . . إذ يتحولون إلى ناس أفضل لوكانوا يعلمون . . أبناء الإقطاعيين فى مصر لقد أصبحوا الآن أطباء ومهندسين فى خدمة المجتمع والتنمية . . وأصبحوا رجالاً يساهمون فى المجتمع ويحققون إنسانيتهم . . لوكانوا قد نشأوا فى ظل الأوضاع القديمة لأصبحوا فى الغالب مجرد أغنياء يبعثرون أموالهم فى كل ما من شأنه أن يسقط قيمة الإنسان . . ولكن ثورة يوليو أنقذتهم من هذا المصير . . أما وجهة النظر التى ذكرتها فى سؤالك فهذا تفسير نظرى لم يخطر لى على بال ولا أهتم به إطلاقاً ! !

● نموذج خالد صفوان الذى قدمته لنا فى (الكرنك) ما هو المناخ الذى يفرزه . . وما هو المناخ الكفيل بأن يقينا شر وجوده ؟

– فى كلمة واحدة . . خالد صفوان مع الديكتاتورية تنمو عضلاته . . ولكنه فى ظل الحرية والديمقراطية وسيادة القانون لا يمكن أن يتحسس وجوده . . حتى إذا وجدت استثناءات لهذا مثل ما يحدث من المخابرات الأمريكية ، فإن نور الديمقراطية سرعان ما يكشفه . . وهذا الذي يحدث من إدانة للمخابرات الأمريكية ما كان يمكن أن يحدث فى النظام الهتلرى مثلاً .

● هناك عبارة جاءت على لسان خالد صفوان فى الفيلم تقول : كلنا مجرمون وضحايا . . كيف يتساوى المجرم مع الضحية ؟

– العبارة التى تفوه بها خالد صفوان قالها بعد أن تجرد من نفوذه وتساوى بضحاياه بعد سجنه . . وهى فى الرواية جاءت خلال وجوده فى مقهى « الكرنك » وبصدورها منه فى المقهى تحمل تعبيراً معيناً لأنها موجهة إلى الشعب المصرى متضمنة شخصه . . فهو يعنى أنه والشعب المصرى كانوا ضحايا التعذيب . . لأن الذى يعذب والذى يقع عليه التعذيب كلهم . . سواء ، منهم ضحايا التعذيب وهم مجرمون لأنهم بسكوتهم يتحملون المسئولية من كل ما كان يمارس من اعتداء على إنسانيتهم ولا يمكن تبرئة الشعب من مسئولية ما حدث . . فالظالم لا يوجد إلا فى وجود من يقبل الظلم . . ولكن فى الفيلم اختلف مكان العبارة . . فقد قالها وهو فى السجن وهذا ما أعطى العبارة مدلولاً غير مدلولها فى الرواية . .

● كان الناس يتساءلون خلال مشاهدة الفيلم فى ذهول ودهشة . . أحقًّا حدث هذا ؟ . أنت لم تستمد القصة من فراغ بالتأكيد ، كانت هناك أرضية انطلق منها خيالك . . ولكن أحقًّا كان يحدث هذا ؟

– الحقيقة أن ما تخيلته وجعل الناس يقولون : أحقًّا حدث هذا ؟ اتضح أنه لا شيء يذكر بما وقع ، إن الكتب التى صدرت عن ضحايا التعذيب تذكر وقائع

يتضاءل بجانبها ما جاء فى الفيلم . . ولو تأخر نشر رواية (الكرنك) بعد نشر هذه الكتب لما وجدت فى نفسى الشجاعة لنشرها ! !

● زعم البعض أن فيلم «الكرنك» هو ضد ثورة يوليو ما رأيك ؟

– الكرنك يدين الإرهاب . . وهو سلبية لوثت ثورة يوليو ولا علاقة لها بروح الثورة ومبادئها . . وفى الفيلم اعتراف واضح بمزايا ثورة يوليو . . وغير مقبول أن يتصور البعض أن إدانة الإرهاب إدانة للثورة . . وأنا أتحدث هنا عن الفيلم ولا أتحدث عن الرواية . . ثم إن الفيلم يمجد ثورة التصحيح وهى جزء من مسار ثورة يوليو ومن إنجازاتها . .

أبريل سنة ١٩٧٦ . .

obeikandl.com

obeikandl.com

الدكتور محمد عزيز الحبابى

أدب الغموض . . عجز لا أحترمه !

زار القاهرة فى الفترة الأخيرة الدكتور محمد عزيز الحبابى مستشار البحث العلمى بوزارة التعليم العالى بالجزائر وعميد كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالمغرب منذ سنوات . والدكتور الحبابى مفكر مغربى له مكانته المميزة لدى الدوائر الثقافية فى العالم الثالث . . وله دوره البارز فى إثراء الفكر العربى والتأثير فى الفكر الأوربى أيضاً . . فقد اقتحمت كتبه بجسارتها وثوريتها . ومعاناتها . واقعنا العربى المعاصر . . غوصاً فى داخله . وكشفاً لمكوناته . . وحاولت أن تجد لنا طريقا ملائماً نسلكه وسط عديد الطرق المتباينة . ولتكون لنا ممراتنا المرصوفة وسط أدغال العصر وغاباته . . وليمكننا أن نتخطى أزمتنا الراهنة . ويعود لنا من جديد دورنا فى الإسهام الحضارى للإنسان .

ومؤلفات الدكتور الحبابى تغطى بجانب العربية كثيراً من اللغات الأخرى . لأن أغلب كتبه ودراساته المكتوبة بالفرنسية والعربية قد ترجمت إلى ما يزيد على ثلاثين

لغة . لأنها تجتهد دوماً فى أن تقدم رؤية مفكر شريف تؤرقه هموم العصر وتعذبه مشاكل الحضارة . فيحاول أن يبحث عن مستقبل يكفل الخلاص . ويعصم إنسان هذا العصر من طوفان التقدم الزائف الذى يكرب روح هذا الإنسان ويعصرها .

والدكتور الحبابى هو صاحب مذهب «الشخصانية الواقعية» ورائد هذا الاتجاه فى عالمنا المعاصر . . وهو وإن كان يتوافق ويتلاقى مع الاتجاه الشخصانى فى فرنسا والذى كان رائده هو المفكر «ايمانويل مونيني» إلا أن مفكرنا قد تخطاه ليبلور شخصانية واقعية جديدة . . والكلمة التالية على لسان المفكر «اندريه فوالك» يمكنها أن تعطينا مؤشراً للمكانة التى يحتلها الدكتور الحبابى لدى الدوائر الفكرية والجامعية فى الغرب حيث يقول :

«إن رسالة هذا الفيلسوف العربى تستحق أن يتنبه لها الشرق والغرب لما فيها من أصالة وعمق «وما يشابه هذا قاله» منديس فرانس» رئيس وزراء فرنسا الأسبق وغيره من المفكرين ، ولقد بلور الدكتور الحبابى مذهبه هذا فى كتابه «من الكائن إلى الشخص» وكذلك فى كتابه «الشخصانية الإسلامية» والكتابان أصدرتهما دار المعارف بالقاهرة . . وكذلك كتاب «من الحريات إلى التحرر» عن دار المعارف أيضاً . والدكتور الحبابى هو رئيس ومؤسس اتحاد كتاب المغرب العربى . . ومدير ومؤسس مجلة «آفاق» العربية . ومدير مجلة «الدراسات الفلسفية» بالفرنسية والعربية . ومدير ومؤسس «دار الفكر» بالرباط . . وعضو جمعية رجال الأدب بفرنسا . . وفى مؤلفاته المتعددة أحرز شهادات الدكتوراه بعض رجال الفكر والأدب من جامعات مختلفة . . وقد نال عدة أوسمة وجوائز عالمية تقديراً لشخصه وفكره . . وقد انتهزت زيارة مفكرنا الكبير للقاهرة لأجرى معه هذا الحديث .

* باسم الحب أتهم !

* فى المشرق يتجاهلون فنوننا

من المهم فى عصر يتشابك مصيره . . وخصوصاً فى عالمنا العربى الذى يعتبر الوحدة المنتظرة هى حلم تاريخه . . من المهم أن تتبادل الأقطار العربية ما لديها من ثقافات فهل ترى أن حركة التبادل بين الثقافات العربية تتم كما ينبغى . . أم أن هناك قصوراً من الأجهزة المسئولة عن هذه المهمة ؟ .

* * *

– أرى أنه ليست لنا ثقافات عربية متعددة . . إنما هى ثقافة واحدة . . بدليل ما ينشر فى القاهرة أو فى بيروت أو دمشق ، هو ما يغذى الفكر العربى بصورة عامة سواء فى هذه العواصم أو فى مكناس أو وهران أو الدوحة . . فلو انكمشت كل جماعة على إنتاجها الإقليمى المحض . . لما جاز لنا أن ندعى بأن هناك عالماً عربيًّا له ثقافة تميزه . . إذن هناك ثقافة عربية واحدة قد تتميز بتيار جدة الشعر فى العراق . . أو بالجانب المسرحى فى سوريا أو السينمائى بالجزائر . . أو بالمجالات الفكرية والإصلاحية فى مصر . أو بغلبة الفنون التشكيلية فى المغرب الأقصى . . إلا أن كل هذا مجرد جوانب لواقع واحد . . هو ما يسمى بالثقافة العربية .

لكن هذه الوحدة العملية تجد من يعمل بقصد أو بغير قصد على تفكيكها ومحاولة اعتراض طريقها الطبيعى بتغليب الجانب الإقليمى الضيق . . مثلا ماذا تعرف أنت أيها الأخ عن الحركة الثقافية بالجزائر أو بتونس مثلا . . ربما يكون لديك شخصيًّا ما يدحض تساؤلى . . ليكن . . فليس الأفراد هم القاعدة . . إن غالبية جماهيركم القارئة ليست لديها هذه المعرفة . . بالنسبة لنا فى المغرب يختلف الوضع تماماً . . نحن

هناك نتابع حركة الشعر فى المشرق . . نتواصل مع أحداث ما ينشر فى الرواية والقصة عندكم . . ويعزى بعضنا البعض فى طه حسين وتيمور ونقيم حفلات التأبين لعزيز أباظة . . ونتناقش حول آخر أغنيات أم كلثوم ، . . ونتتبع المعارك الصحافية حول سياستكم الداخلية والخارجية . . أما أنتم ، سامحكم الله فتنشغلون بأنفسكم عنا وتتجاهلون أخوة لكم خارج الحدود الجغرافية المصطنعة . .

لقد عشنا معكم بجماع مشاعرنا خلال حرب أكتوبر . . حتى أطفالنا فى المغرب وفى الجزائر كانوا يشعرون بأن المعركة مسألة تتعلق بمصيرهم وبكرامتهم . . هل أنتم على نفس الخط معنا ؟ أنتم لا تعرفون ما يدور عندنا . . من منكم يعرف شعراءنا وكتاب القصة عندنا ؟ من منكم يتابع حركة الفكر لدينا ؟ . . الجواب – مع الأسف – معروف ، ومرة أخرى ليس الأفراد هم القاعدة . . وهنا تكمن العرقلة الكبرى لمسيرة الثقافة العربية نحو النمو والاكتمال . . والذى أخافه هو أن يتدافع عن تقاطعكم نحونا رد فعل انفصامى يعترض التيار المتوثب نحو الثقافة الأفضل !

قد تبدو كلماتى جامحة المرارة . . ولكنى بدافع الحب أنطلق . . وباسم الحب أيضاً أتهم . . وحتى لا يكون الاتهام مفتقد الأسانيد الشرعية دعنى أسأل : لديكم قاعات للعرض المسرحى فى القاهرة والإسكندرية والأقاليم . . فهل ثمة مسرحيات مغربية عرضت من خلالها ؟ .

لديكم دور للعرض السينمائى فهل شاهد جمهوركم فيلماً جزائريًّا ؟ هل هناك معارض أقيمت للفن التشكيلى فى تونس إن بعض دور النشر المحترمة فى القاهرة وبيروت قد صدرت عنها بعض المؤلفات لكتاب من المغرب العربى . . ولكن الصحافة والمجلات المتخصصة وبقية أنواع الإعلام لم تشر إليها ، ناهيك أن تتناولها بالنقد أو التعريف . .

بعد هذا هل تجدنى متجنياً عندما أطلق الاتهام ؟ .

● سيدى من حقى تجاه ما قلته أن أبدى ملاحظة . . ليست لدى مستندات الدفاع كاملة ، لقد كتبت أنا عن كتابكم (من المنغلق إلى المنفتح) الذى صدر عن مكتبة الأنجلو وقام بترجمته من الفرنسية إلى العربية الأستاذ محمد برادة . . كتبت عنه منوهاً بأهميته ومحاولته الجادة للتوصل إلى حلول لأزمة عصرنا . . فى مجلة «المصور» فعلت !

–شكراً لأخوة سيادتكم ربما تكون هناك محاولات فردية من جانبك . . وجانب غيرك . . ولكنها لا تصل إلى مستوى الحركة المخططة التى تستهدف تحقيق فعالية الثقافة العربية بإدماج مسار أنهرها فى مصب واحد !

ديكاتورية دور النشر . . على اتحاد الكتاب أن يضع حدًّا لها :

● ليكن . . هل لديكم ما تقترحونه لتغيير الوضع إلى ما هو المفروض أن يكون ؟

–كل الأجهزة الثقافية فى أقطارنا العربية عليها أن تجند نفسها بجدية وإحساس بالمسئولية . . لتتكامل عملية التبادل الثقافى بما يجعلها تحقق أهدافها . . وعلى عاتق اتحاد الكتاب العرب تقع المسئولية بالدرجة الأولى . . لقد عرفت أن المسئولين عن الاتحاد يخططون لسياسة جديدة مثمرة . . ونحن ننتظر . . وبالمناسبة . . أتمنى أن يقوم هذا الاتحاد بتأسيس نقابة تدافع عن حقوق المؤلفين العرب . . إذ يجب أن تنتهى عملية الاستغلال التى تقوم بها دور النشر لاستنزاف جهودهم ماديًّا ومعنويًّا . . لقد مارست دور النشر فى عالمنا العربى ديكتاتورية . . على اتحاد الكتاب أن يضع حدًّا لطغيانها . . إن دور النشر مسئولة عما تعانيه الثقافة العربية من بطء فى السير وقصور فى التكامل .

° ° °

● هل كان للحركة الأدبية والفكرية فى المشرق العربى تأثيرها فى اتجاهات ثقافة المغرب ؟

– نعم . . بالتأكيد كان لها تأثيرها البالغ . . وفى إجابتى السابقة يمكنك أن تجد الرد مفصلا !

التنكر للذات تدمير للشخصية . . والإعراض عن العصر أيضاً ! ! أعطينا فى الماضى . . وعلينا أن نتجاوز طور الأخذ :

● تراثنا العربى . . هل يتضمن ما يمكنه أن يعطى جديداً لإثراء الحضارة الإنسانية . . أم أن ما لدينا يعجز عن الإسهام فى حركة العصر الفكرية ؟ ؟

– بالتحديد . . ما الذى تعنيه هنا . . هل تقصد التراث القديم . . أو الجديد ؟

● أقصد التراث القديم بالدرجة الأولى . . وأيضا أعنى ما لدينا من منجزات جديدة !

– تراثنا القديم أثرى الحضارة الإنسانية بلا ادعاء أو مكابرة . . هذه حقيقة . . فابن سينا وابن رشد والخوارزمى والرازى وابن النفيس وغيرهم قد قدموا للإنسانية ما يجعلها تدين لنا به . . ولا أريد أن أدخل هنا فى تفاصيل . . ولكن عندما توقفت ثقافة العرب الإسلامية عن النمو بفعل عوامل ليس هنا مجالها ، فما عادت ترضى نفسها ولا غيرها !

أما بالنسبة لما لدينا حالياً فنحن فى طور الأخذ أكثر من طور العطاء . . وهذا واقع علينا أن نعترف به فى شجاعة . . فكما أعطينا فى الماضى علينا أن نأخذ فى الحاضر على شرط ألا نكون مجرد ببغائية نعيد صدى أصوات الآخرين . . علينا أن نهضم ما نأخذه ونتمثله . وأن نعيد تشكيله ليتوافق مع بيئتنا وذاتيتنا . . وهذا الطور

علينا أن نعمل كل ما فى وسعنا لتجاوزه إلى طور الإبداع والإضافة للتراث الإنسانى . . وليس ذلك بمحال إذا خططنا كما ينبغى . . وقمنا بالتضحيات الحتمية لهذا . . وعلينا أن ندرك أن طور الخلق والإضافة لا تصله صفوة القوم منعزلة عن شعوبها . . فالمناخ العام الناضج هو الذى يعطينا عباقرة الخلق وأفذاذ الابتكار . . والتزام المثقفين نحو شعوبهم هو الوسيلة الناجحة إلى تحقيق فعالية الثقافة وشموليتها . . فى الشعوب المتخلفة لا تتفجر العبقرية . . فى خريطة العالم العربى لا تبرز أى قمة عالمية فى علوم الطبيعة أو فى علوم الإنسان . . ولكن هناك ثمة إرهاصات مبشرة . . هناك مبادرات فكرية ، هناك طاقات إبداعية . . فنحن فى فترة المخاض . . وسيأتى الوليد على مستوى إرادتنا وأعمالنا . . لا على قدر أحلامنا المحلقة . . ورغباتنا الغامضة . لسنا فى درجة الصفر ، فلدينا توفيق الحكيم وميخائيل نعيمة وكامل حسين ونجيب محفوظ . وغيرهم من الذين لا تقل مستوياتهم عن مستويات من ينالون جائزة نوبل . . ولكن أغلبية شعوبنا العربية تعيش بعقلية أقل ما يقال فيها إنها غير مزامنة للمسيرة المعاصرة ، وللتقنينات والعلوم الحالية . . وعلى كل الجهود أن تتصدى لتغيير هذه الذهنية . . لنندمج فى القرن العشرين . دون أن نتخلى عن مقوماتنا الأخلاقية والروحية . . وبهذا المزج بين العصر وقيمنا يمكننا أن نقدم شيئاً هاماً ومجدداً للتراث الإنسانى فالتنكر للذات مسخ للشخصية والإعراض عن أوضاع العصر تدمير للشخصية أيضاً !

الحرية بدون التزام فوضى . .

● فى كثير من كتبك مثل «من الحريات إلى التحرر» ومن «الكائن إلى الشخص» و«من المنغلق إلى المنفتح» وغيرها يلمس القارئ من جانبكم محاولة

لتأسيس منهج للحرية . . بجانب محاولة أخرى لتأسيس منهج الالتزام . . قد تبدو المسألة متناقضة . . فهل يمكنك أن تحدثنا عن الصلة بين الحرية والالتزام ؟

– ما أظن أبداً أن هناك ثمة تناقضاً . . الأحمق هو الذى ينكر قوانين الطبيعة وحتمية الواقع . . كان « بيكون » يقول : « علينا أولا أن نستسلم للضرورة قبل أن نسيطر عليها . . من هنا ننطلق . . فحينما أريد أن أنتقل من « دار الهلال » إلى الجيزة مثلا . . فلابد أن أفترض أن الانتقال يتطلب وقتاً . . وهذا الوقت يخضع لأشياء خارجة عن إرادتى مثل حركة المرور وازدحام الشوارع . . وحركة سير العربة حسب حالتها . . والمسافة التى تفصلنى عن المكان الذى أقصده . . فأنا ملزم بأن أخضع لهذه الاعتبارات وأن أتقبلها . . وبعد هذا تبدأ حريتى أنا . . إذ يمكننى أن أذهب إلى الجيزة . . عن طريق كوبرى الجلاء أو عن طريق كوبرى الجامعة . . يمكننى أن أتجه إلى (جاردن سيتى) أو أمضى فى شارع القصر العينى . يمكننى أن أسير فى شارع المنيل أو أتجنبه . فأنا فى البداية كنت ملزماً بأشياء مفروضة علىّ من الخارج كالمسافة . . وكضرورة أن يكون فى العربة نفط . . وأن تكون صالحة للاستعمال . . وأنا حر بعد ذلك فى تكيفى معها . . هذا مثل بسيط . .

ولكن إذا أردنا أن نضرب مثلا يتعلق بالتزام الكاتب وحريته يمكننا أن نقول . . أنا لم يكن لى الاختيار فى أن أكون من العالم الثالث . . ولم تكن لى حرية الاختيار فى أن أولد فى القرن العشرين . . ولست السبب فى أوضاع العالم العربى الراهنة . . ولكنى ملزم بأن أتخذ مواقف من هذه الأوضاع . . وفى نفس الوقت تتأكد حريتى فى اختيار الوسائل فى كل موقف . وفى نوعية الموقف ذاته . . وفى اختيارى للجماعة التى أعمل معها . . وللجماعة التى أناضل ضدها . . ووسائل المناصرة أو النضال هى أيضاً تدخل فى إطار مفروض علىّ ولكنها متفتحة على أنواع

كثيرة من الاختيارات . . فالحرية المطلقة إذن شيء وهمي والالتزام دون حرية عبودية وغباء ، فالإنسان حيوان اجتماعي . . أي أنه مسئول لأنه حر . . وملتزم لأنه يتحمل مسئولية حريته . . وبأبسط عبارة . . الالتزام حرية . . والحرية بدون التزام فوضى . .

شخصانيتي . . في الإسلام جذورها :

● «الشخصانية» التي تمثلونها أنتم . . هل ثمة جذور لها في الفكر العربي . . وأين يمكننا أن نجد هذه الجذور؟

–بصفتي عربياً مسلماً . . لابد أن يأتي إنتاجي الفكري متأثراً بأوضاعي التاريخية طبعاً ثقافتي مزدوجة . . تأثرت بالفكر العربي في أغلب أطواره . . كما تأثرت بالاتجاهات الغربية المعاصرة . . فالذي لا يأخذ لا يمكنه العطاء . . ولا يستطيع المرء أن يعلم إذا لم يتعلم . . والشخصانية الواقعية ، هذا الاتجاه الذي التزمت به . . تختلف عن الاتجاه الشخصاني في بعض المذاهب الفكرية الغربية . . لأن إضافة كلمة «واقعية» تعني الكثير . . فشخصانيتي تستمد مصادرها وتتجه محاورها إلى «واقعي» كمنتم للعالم الثالث . . وكمغربي كانت بلاده مستعمرة سياسياً وعسكرياً . . وهي الآن تعاني من الاستعمار الاقتصادي والثقافي . . فالشخصاني المغربي العربي المسلم . . ليس هو الشخصاني البلجيكي الغربي المسيحي أو غير المتدين .

وعندما توالت كتاباتي في هذا الاتجاه . وتمكنت من إفراز الأبعاد العميقة والامتدادية التي تقوم عليها الشخصانية الواقعية . . بدأت تظهر في الغرب بعض

دراسات تشير إلى «الحبابى الشخصانى المسلم» وهنا انبرى لى التساؤل . . هل هناك نقط اتصال بين الشخصانية والإسلام . .

وجاء الجواب فى كتابى «الشخصانية الإسلامية» الذى صدر عن دار المعارف فى القاهرة ، وأكدت من خلال هذا الكتاب أن للشخصانية جذورها فى الواقع المعاش وفى التاريخ الموروث وفى القرآن والسنة . . ولا يتسع المجال للحديث عن الشخصانية وكنهها . . ومن يهمه هذا يمكنه العودة إلى كتابى من الكائن إلى الشخص» الشخصانية الإسلامية والكتابان قد صدرا بالفرنسية أولا قبل أن أترجمها إلى العربية . .

سنجور . وبدوى . والحبابى وفكر العالم الثالث :

● جاء فى آخر كتاب صدر للدكتور مراد وهبه بعنوان : «محاورات فلسفية فى موسكو» أن أحد المفكرين السوفييت زعم بأن للعالم الثالث ثلاثة مفكرين هم الرئيس السنغالى «سنجور» وعبد الرحمن بدوى «ومحمد عزيز الحبابى . . فهل هذا الزعم يطابق الحقيقة أم يجانبها ؟

– هذا مجرد رأى من الآراء . . فقد يأتى مفكر آخر ويحصر مفكرى العالم الثالث فى واحد أو يتوسع إلى مائة أو أكثر . من بينهم الثلاثة أو بدونهم . . والشىء الذى أعتقده هو أنه لا صديقى سنجور ولا صديقى عبد الرحمن بدوى ولا أنا شخصياً يمكننا الادعاء بأننا نمثل تفكير العالم الثالث . . لكن الشىء الذى لا ينكر هو أننا جميعا من العالم الثالث . . وجميعنا ننشر ونحاضر كل فى ميدانه . . هل العالم الثالث يجد صورته ماثلة فى آثار بعضنا . . الجواب على هذا السؤال صعب . . لأن أغلبية العالم الثالث أمية لا تقرأ ولا تكتب ولا تعرف عن معطياتنا شيئاً . بجانب أن

العالم الثالث يمثل أكثر من ثلث العالم ، ومن المستحيل أن لا يوجد فيه إلا مفكرون ثلاثة مهما كانت قيمة ما يكتبونه ؟

القوميات المتعصبة . . خطر على التاريخ :

● البعض يزعم بأن عصر القوميات قد انتهى . . وأن مسيرة التاريخ تتجه الآن نحو شمولية الكيان الإنسانى الموحد . . ولكن بما أن الإنسانية مهما تلاقت خصائصها فهى فى النهاية تتباين قسماتها . فهل ستلعب القوميات دوراً ما فى تشكيل مستقبل التاريخ الإنسانى القادم ؟

* * *

– التشابه إلى حد الاختلاط فقر . . والتغاير فى تكامل يغذى التاريخ وينمى العناصر المكونة له . . فالقومية بمعناها الضيق – أى الجنوح إلى الإقليمية المتعصبة – شر على أنصارها وعلى الإنسانية كلها . . أما القومية بمعناها الرحب ، بمعنى أن تعتز كل أمة بتراثها وشخصيتها ومكوناتها التاريخية والحضارية . ومدى عطائها للإنسانية كلها . . ونزوعها إلى التمايز من خلال التوافق . . فتلك هى القومية التى تسهم فى صنع التاريخ الإنسانى ولا تشكل خطورة لا على نفسها ولا عليه . . فالقرآن يدعو ويؤكد بأن « الأقربون » أولى بالمعروف « فالقوميات فى المفهوم الثانى هى وحدها التى تستطيع أن تلعب دوراً تاريخيًّا فى تقدم الإنسان . . أما فى معناها الضيق فإنها خطر . . لأنها مدعاة إلى الانقسام والتنافر . إن العصر القادم هو عصر التكامل الإنسانى من خلال القوميات المتفتحة .

* * *

عصر التحليق بجناح واحد :

● فى كتابك من الحريات إلى التحرر قلت : «إن العلوم الإنسانية ما زالت متخلفة عن النمو الحثيث لعلوم الطبيعة والتقنيات . . وفى هذا الطلاق البائن المريع تكمن مأساة الإنسان المعاصر ، يوافقك على هذا كل الذين تؤرقهم أزمة عصرنا . . ما الذى علينا أن نفعله لتضييق المسافة بين التقدم التقنى والتخلف فى علوم الإنسان ؟

– إن الحضارة الحديثة تنزع إلى تغليب التقنيات على المظاهر الإنسانية لحياتنا . وهى بذلك تعمد إلى إخضاع الإنسان الذى هو غاية أى تقدم وأى حضارة إلى ما هو مفروض أن يكون مجرد وسائل تخدم سعادته وتعطيه حياة أكثر بهجة وأعمق معنى . . وعلى هذا فلابد من إعادة التوازن لهذه الحضارة . حتى لا يحلق الإنسان بجناح واحد . . وهنا لابد مهما ارتفع وحلق من أن يهوى فى النهاية ليرتطم بصخرة الإخفاق المنتظر . . إن السبب فى هذا الاضطراب وهذا القلق الذى يسود عصرنا يرجع فى جزء كبير منه إلى الفوضى الأخلاقية والاقتصادية التى تسيطر على عصرنا ، إن نظم الحياة السياسية والاقتصادية لم تحدد بعد أهدافاً لخدمة الإنسانية تحديداً صادقاً واضحاً . . فلكى نصل إلى حضارة حقيقية ذات طابع إنسانى يتحتم علينا أن نعيد النظر بصفة عامة فى الوسائل الفكرية والمجتمعية المطبقة داخل بيئاتنا .

المفكر . والقصاص . والشاعر . أنا :

● أنت تكتب مفكراً . . وروائيًّا . . وقصاصاً . . وشاعراً . . فى أى جانب من هذه الجوانب يرى الدكتور الحبابى أنه قد حقق ذاته . . أو بمعنى آخر . . أى هذه الجوانب من العطاء أقرب إلى وجدانك . . ؟

– أحياناً ألبس الجلباب المغربى والبرونوس . . وأحياناً أرتدى الصدرة والبنطلون المغربى . . تارة ألبس شورتاً وقميصاً خفيفاً بنصف كم اتقاء لحرارة الجو . . وعندما يكون الطقس قارساً أتدثر بالأصواف الثقيلة . . كل وقت يكون له ما يلائمه ويلائمنى . . ولكن . . أنا هو أنا فى كل الأحوال . . حينما أريد بلورة مفاهيم فكرية تقتضى منى تحليلات واستنتاجات وديالتيك . . فالدراسة الفلسفية ترشح نفسها بالدرجة الأولى . . ولكن عندما أريد أن أتواصل مع جمهور أوسع من القراء . . وأن أتوجه إلى وجداناتهم ومشاعرهم أطلق العنان لقدراتى الفنية . . فهنا أجد أن الرواية أو القصة هى النوع الأكثر استجابة لى . . لأن ما لدى لأقوله يتجسد فى أشخاص وأحداث وأحاسيس ومواقف . . وحينما أمر بمكان وتخاطبنى ذكريات . . وتمور مشاعر . . وتتدفق خواطر يطفو الشاعر من داخلى ليعبر عن هذا بإمكاناته .

على أنى أعتقد أنه ليس هناك بين مختلف وسائل التعبير أى تناقض أو حواجز لا تخترق ، فالرسالة الفكرية تنتخب كل الوسائل لتنتقل من متكلم إلى مخاطب . . فالحبابى إذن يجد نفسه فى كل ما يكتب .

أدب الغموض عجز . . لا أحترمه :

● حركة الشعر فى المغرب العربى . . ما هو موقفها الراهن . . هل هى تلتزم بعمود الشعر التقليدى . . أم هناك من يحاول التجديد . . وهل كان لحركة الشعر الحديث فى المشرق صداها عند شعراء المغرب ؟

– عندنا من يلتزم بالشكل العمود . . وعندنا من يجدد أيضاً . . وقد كان لحركة الشعر الجديد فى المشرق تأثيرها عند شعراء الشباب فى المغرب العربى . . وحركة الشعر عند هؤلاء الشباب تمتاز بتعبيرها عن إيقاعات العصر . . وأنا معجب

بكثير من هؤلاء . . ولكنى فى نفس الوقت لا أوافق على إغراق بعضهم فى الغموض والتغريب . . أنا ضد أدب الغموض . . ولا أحترمه . . إن الفكر الناضج والعاطفة الصادقة المتبلورة هى التى تبرز على مستوى التعبير واضحة . . قادرة على التوصيل . قابلة للمشاركة والتفاهم . . وأنها لأكذوبة ومغالطة الادعاء بأن الغموض يفرضه عمق الفكر . . الغموض عجز عن التوصيل لا أكثر . . وكل ادعاء بعد ذلك لا يعنى إلا محاولة فاشلة للتغطية . . تغطية العجز كما قلت . .

عالم الغد . . الاتزان والتوازن :

● عن « دار الهلال » ستصدر قريباً روايتكم « الأكسير والحياة » هل هناك ثمة أعمال أخرى لكم فى الطريق إلى القارئ ؟

– لدى كتاب سيصدر بالفرنسية قريباً بعنوان « آلام موقعة » فى جزءين وهو ترجمة لنماذج من الشعر العربى فى مختلف البلدان والعصور . وإن كان الجزء الأول منه يختص بترجمة بعض الشعر الفلسطينى . . وشعر جزائر ما قبل الثورة .

ولدى كتاب آخر سيصدر بالفرنسية أيضاً بعنوان « عالم الغد » أو « العالم الثالث يتحدى » وهو عبارة عن دراسة تحليلية للأوضاع العالمية الحالية فى جوانبها المختلفة . . وقد استخلصت من تحليل هذه الأوضاع نتائج تؤكد ضرورة قيام عالم جديد يعطى للإنسان واقعاً أفضل . أكثر توازناً واتزاناً . .

● أريد أن أعرف هل كتابكم « آلام موقعة » عبارة عن تاريخ للشعر العربى . . أم دراسات نقدية له ؟

– لا هذا ولا ذاك . . لست مؤرخاً للأدب . . ولست بناقد أيضاً . . أنا أتذوق الشعر . . وقد دفعنى تذوقى هذا إلى اختيار مجموعة من القصائد رأيت أنها

تعبر عن جانب من آثارنا الفنية يجسد الروح العربية فى آلامها وآمالها . . وقت بترجمتها إلى الفرنسية عسى أن أسهم فى التعريف بقضيتنا لدى من يقرأون بالفرنسية . . وهذا من جانبى أضعف الإيمان . . إن قضيتنا فى مسيس الحاجة إلى التعبير عنها فنيًّا . . ولا شىء أقدر من الفن الجيد على اكتساب مشاعر التأييد والتعاطف مع القضايا العادلة .

« أبريل » ١٩٧٤

obeikandl.com

دكتور شوقى ضيف

أحمد شوقى : أمير شعراء كل العصور !

احتفلت مصر بإحياء ذكرى شاعرها وشاعر العروبة الأعظم «أحمد شوقى» وتحول بيت شوقى «كرمة ابن هانئ» المطل على النيل فى الجيزة إلى متحف قومى يضم تراثه الشعرى والمسرحى وآثاره وكل ما يخصه . . تقديراً من الدولة لشاعر قد استخرج من لغة العروبة أجمل ما فيها ليشكله قريضاً يتدفق باقتدار الشاعرية وجمال الفن . . متغنياً بأمجاد مصر والعروبة والإسلام !

وشوقى لا يخص مصر وحدها . . فهو شاعر العربية فى كل ديارها . . لهذا جاءت وفودها تشارك فى الاحتفال وتجدد له البيعة أميراً للشعراء . . كما جاءت وفودها من قبل تخلع عليه الإمارة وتسلمه مقود الزعامة . . وليس هناك من شاعر عربى التقت حوله قلوب العرب وبلغ من الشهرة وحقق من المجد . . ما أتيح لهذا الشاعر المنفرد . .

فقد كان الشرق بأسره وما زال يتغنى بشعره . . ويوم كان يرسل قصيدة جديدة كان العالم العربى يعتبر ذلك حدثاً يشغل الناس . . فتتداولها المحافل . . وتشدو بها الألسنة . . وبجانب إنجازاته الشعرية كان هو الرائد الأول لفن الشعر المسرحى فى أدبنا العربى . وأنه عبّد أرضاً لم يطرقها أحد من قبله . . وإذا كانت الأمة العربية قد أفاضت عليه من حبها وتقديرها كجماهير قارئة ومستمعة . . فإن الأدباء والنقاد قد انقسموا حوله ما بين أنصار يفرطون فى الحب إلى حد اعتبار شعره معجزة تسمو على النقائص أو الهنات . . وخصوم يكادون يجردونه من كل حسنة ويعتبرونه شاعراً مصنوعاً يفتقد الأصالة والشاعرية . . ولم يكن كل ما كتب عنه يجرى على هذه الوتيرة . . فهناك كتابات اتسمت بالإنصاف والموضوعية .

ومن هذه الكتابات دراسة قدمها الدكتور شوقى ضيف منذ ربع قرن فى كتاب بعنوان «شوقى» = شاعر العصر الحديث . . والآن تسوقنا المناسبة للتساؤل : هل تغيرت نظرة المؤلف إلى شوقى بعد هذه الفترة . . هل هناك = فى الكتاب = ما يمكن أن يتراجع عنه أو ما يمكن أن يضيفه جديداً لرؤيته عنه . .

بجانب أسئلة أخرى عنت لى . . توجهت بها إلى الدكتور شوقى ضيف . . وأعطانى الرجل هنا إجابته . .

شوقى هو شوقى على الدوام :

● قلت للدكتور شوقى ضيف :

يعتبر كتابك «شوقى شاعر العصر الحديث» من أهم الدراسات التى مسحت عالم شوقى بكل جوانبه الآن وبعد ربع قرن على وضع هذا الكتاب . . هل تختلف رؤيتك لشوقى . . عن الرؤية التى تضمنها الكتاب السالف ذكره ؟

– لا تختلف رؤيتى الآن لشعر شوقى عن رؤيتى له منذ نحو ربع قرن ، حين ألفت كتابى عنه . ذلك أن شوقى يحتل فى شعرنا الحديث مكانة رفيعة . لا فى مصر وحدها بل فى العالم العربى . جميعاً . . وهى مكانة يشترك معه فيها البارودى وحافظ إبراهيم ، فهم الذين استطاعوا أن يكسبوا لمصر زعامة الشعر العربى فى العصر الحديث ، ويعد شوقى أكثر من صاحبيه عذوبة فى الألفاظ وتحليقاً فى آفاق كثيرة . وبذلك يعد السابق المجلى فى التمكين لمصر من هذه الزعامة التى سبقت زعامتها للعالم العربى فى النثر بعشرات السنين !

وهذه الرؤية لمكانته هى التى دفعتنى إلى دراسته بموازين عادلة . . إذا انقسم النقاد فى زمنه بين متحيزين له ومتعصبين عليه . فأردت أن أتبين حقائقه الأدبية فى وضوح . . بكل ما فى شعره من تيارات . . وما ساد فيه من مؤثرات . . وما ابتكره من مسرحيات ، ولا تزال نفس الرؤية ثابتة فى نفسى لا تختلف عن رؤيتى القديمة لا فى قليل ولا فى كثير !

* * *

● من أهم إنجازات شوقى مسرحه . . كان قيمة كبرى فى عصره . . بجانب فضل الريادة . . هذا المسرح هل ننظر إليه الآن كتراث . . أو فى اعتقادك أنه ما زال يصلح للعرض والذوق المعاصر . ويمكنه أن يجد جمهوراً يتقبله ؟

– لا شك أن شوقى يعد أول من أوجد للعرب فى العصر الحديث مسرحاً شعرياً . . فقبل مسرحه لم تكن هناك إلا بعض مسارح هزلية أو مسارح للغناء والطرب . . وبذلك يكون بحق هو الرائد الأول للمسرح العربى الحديث . وهى ريادة تعددت فيها المسرحيات . فهناك خمس مآس شعرية ومسرحية نثرية غير مهزلته المعروفة « الست هدى » . . ولشوقى دائماً نظرات نافذة ، فكما أنه بث فى

شعره الغنائى الروح الوطنية والعربية وجسدها فى أروع القصائد ، كذلك صنع فى مآسيه . إذ أودع فى ثلاث منها العواطف الوطنية المصرية « مصرع كيلوباترا – قمبيز – على بك الكبير ، وفى القومية العربية « مجنون ليلى – عنترة – أميرة الأندلس » والأخيرة كتبها نثراً لا شعراً .

ولعل فى ذلك ما يدل على أن هذه المسرحيات تحمل ما يؤكد لها البقاء ، إذ منها ما يخاطب الجمهور فى كل زمان . . ومنها ما يخاطب الجمهور العربى فى كل عصر . وليس هذا وحده ما يتيح لها البقاء . فشوق فى رأيى كان من الكادحين فى هذا العمل ، فهو حين أقبل على صنع مسرحيات لم يقبل عليها بدون دراسة . . بل حاول أن يدرس وأن يتعرف على المدارس المسرحية . . ووعى بقوة المدرسة الكلاسيكية الفرنسية فى القرن السابع عشر . وعرف أنها تستمد مسرحياتها من التاريخ كما فعل كورنى وراسين فحاكاهما فى هذا الاتجاه . . وأيضاً فى كونها تغلب الواجب على العاطفة فكيلوباترا ضحت بحبها لأنطونيو من أجل مصر :

أموت كما حييت لعرش مصر وأبذل دونه عرش الجمال

وتيتاس ضحت أيضاً بحبها لتاسو وقبلت الزواج من قمبيز حتى تفدى شعبها من شروره قائلة :

ومالى لا أعطى الحياة إذا دعت بلادى ، حياتى للبلاد ومالى

وبالمثل ضحت ليلى بحبها لقيس حفاظاً على التقاليد القبلية والعرف العشائرى .

وبالمثل وعى كذلك المدرسة الرومانسية إذ نراه يتأثر بها فى مسرحه ، ويتضح هذا التأثير فى انفصاله معها عن المدرسة الكلاسيكية وما تقيدت به من نظرية الوحدات الثلاث « وحدة الزمان والمكان والموضوع » فهو مثلاً لا يتقيد بوحدة الموضوع فيجرى فى مآسيه بعض القصص الجانبية بجانب القصة الأساسية فقد

أجرى فى «مصرع كيلوباترة» بجانب قصتها مع أنطونيو قصة جابى وهيلانة . وذلك عنده لا يفسد التحام الحوادث فى المسرحية . وتأثر أيضاً بالمدرسة الرومانسية فى إدخاله العناصر الفكاهية فى المسرحية مخالفاً بذلك المدرسة الكلاسيكية التى كانت ترى الفصل بين الأنواع .

وفى هذا ما يؤكد بقوة على أن شوقى لم يهجم على التأليف المسرحى دون دراسة وثقافة ، وقد انتخب لنفسه ما يراه ملائماً لشعبه من المسرحين الكلاسيكى والرومانسى ، ولم يقف عند ذلك فقد تمثل الأحوال السياسية لشعبه والشعوب العربية فأدخل العواطف الوطنية والقومية . كما أدخل تياراً أخلاقيًّا . وبالمثل أدخل تياراً غنائيًّا . إذ تراه يتوقف فى مسرحياته ليعطى الفرصة لمواقف غناء وتلحين من حين لآخر حتى يشبع رغبات جمهوره الذى حاول أن ينتزعه من مسرح الغناء والطرب السابق له . . وهذا معناه أن شوقى حاول أن ينفذ إلى مسرح عربى جديد يلائم المصريين والعرب جميعاً . ولعل فى هذا ما يدل على أن مسرح شوقى لا يزال صالحاً للعرض . ولا يزال من الممكن أن يجد جمهوراً يقبل عليه . لأنه مسرح متكامل من الوجهة الفنية الخالصة . . ويرضى المشاعر الوطنية والقومية .

وحقًّا هناك نقد وجه إلى مسرح شوقى ولكنه لا يهدم مسرح شوقى . إنما هى آراء نقدية من شأنها أن تنير السبيل أمام المحاولات الجديدة !

عاد من المنفى فتدفق شعره بالوطنية :

● «يلاحظ أنه بعد عودة شوقى من منفاه بعد ثورة ١٩١٩ تدفقت أشعاره بالوطنية والتغنى بالقضايا العربية . . ولم تكن بهذا التدفق قبل هذا التاريخ . . ما سر هذا فى اعتقادك ؟

– معروف أن شوقى ظل حتى منفاه بعد خلع الخديو عباس يعيش حبيس وظيفته فى القصر نحو ربع قرن لا هم له إلا تدبيج المدائح فى عباس . . فإن تركه فإلى الوجهة التى يريدها من مدحه للخليفة التركى . وبذلك ظل يعيش فى درب محفوف بالأشواك مقيداً بأقفال تحول بينه وبين الحرية فى أن يكون خالصاً لوطنه . ولكن ينبغى أن نلاحظ أن شوقى رغم هذه القيود التى كانت تبهظه حاول أن يتخلص من ذلك حيناً بعد حين . وكان أول ما صنعه نظمه لقصيدة كبار الحوادث فى وادى النيل « وفيها نستشعر حبه لمصر وإحساسه القوى بأمجادها الغابرة فى مثل قوله :

« وبنينا فلم نخل لبان وعلونا فلم يجزنا علاء »

وعلينا أن نتذكر قصيدته عن « أنس الوجود » وكذلك قصيدته عن « النيل » وهما رائعتان يتجلى فيهما حبه لمصر وإحساسه المتدفق بها .

ثم ينفى إلى أسبانيا بعد خلع عباس ويحس فى أعماقه بظلم المستعمر الذى حرمه من وطنه ويظل يتغنى بوطنه وأمجاده . . وبالعروبة . . ويعود من المنفى ليجد أبواب القصر مغلقة دونه . ويجد دماء الشباب الزكية مراقة على ثرى وطنه فيستشعر العواطف الوطنية بقوة . ويصبح منذ هذا التاريخ شاعر الشعب المعبر عن الأمة وأحلامها . . ويرتجف لكل ما يرتجف له الشعب . ويسعد بكل ما يسعده . . وينطلق ليستحث الشباب على الجهاد والفداء . . ودحر المستعمر والقضاء على وجوده . . ويجعل من التغنى بأمجاد الوطن الغابرة دافعاً للشباب كى يستعيدوا لهذا الوطن أمجاده . . والكفاح من أجل أن يكون مستقبله كما كان ماضيه . .

ونخلص من هذا أن الوطن لم يكن غائباً عن شوقى فى شعره منذ بواكير حياته . . وقد استحال فى شعره معبدًا كبيراً يرتل له أشعاره . . حتى إذا نفى وعاد

من منفاه مضى يحاول أن يحيله بركاناً ثائراً يأتى على المستعمر وأعوانه ولم يكتف بوطنه يحفزه على النضال فقد وقف بجانب كل بلد عربى ينازل الاستعمار داعياً شبابه إلى الثورة وأهله إلى الكفاح وبقية أقطار الوطن العربى إلى مساندته . . لقد كان شاعر العروبة المعبر عن أحاسيسها ومشاعرها فى كل مكان وقد امتلأ غضباً وحنقاً حين علم بما فعله الاحتلال الفرنسى بدمشق من دمار ورعب فوقف يصرخ فى أبناء سوريا يطالبهم ببذل الدماء قائلاً :

وللأوطان فى دم كل حر يد سلفت ودين مستحق
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق

وكان لا ينسى ما يربط البلدان العربية من أواصر الرحم والقربى الوثيقة وما أروع تصويره لهذه القربى عندما يقول :

«كلما أن بالعراق جريح لمس الشرق جنبه فى عمان»

وظل على الدوام يتغنى بالصلات التى تربط البلدين الشقيقين مصر والسودان :

«وما هو ماء ولكنه وريد الحياة وشريانها
تتمم مصر ينابيعه كما تمم العين إنسانها

وعلى هذا النحو كان شوقى هو صوت مصر والعالم العربى . . والمعبر عن وجدانها نحوه .

موقع شوقى من خريطة الشعر العربى أين يكون ؟

● سؤال أعتذر عن تقليديته . ولكنه قد يكون مهمًّا بالنسبة لجيل جديد يريد أن يتذوق شوقى . . أى مسرحيات شوقى بلغ القمة فى نظرك . . وما هى القصيدة التى تعتبرها أروع قصائده ؟

– هناك مسرحيتان تعدان فى الذروة بالقياس إلى مسرحياته «مصرع كيلوباترا» ومن الغريب أن شوقى كتبها ليعارض مسرحية شكسبير «أنطونيو وكيلوباترا» وكأنما كتب لشوقى دائماً أن يتفوق حينما يعارض غيره من كبار الشعراء . فإن من يقرنها إلى مسرحية شكسبير يعرف مدى قدرة شوقى الفنية . . والمسرحية الثانية هى «مجنون ليلى» فالبناء المسرحى فيها بالغ الإحكام . والشخصيات مصورة تصويراً دقيقاً والصراع يمتد فى خيط متصل . وتقل إلى حد ما نزعة الإطالة فى جزئيات الحوار . . وهذه المسرحية جديرة بأن تستغل فى «أوبرا» غنائية طويلة .

أما القصائد فمن الصعب أن نختار لشوقى قصيدة واحدة . . طبعاً هناك قصيدة «كبار الحوادث فى وادى النيل» وهى أشبه بشريط من أشرطة دور الخيالة يعرض فيه تاريخ مصر منذ أبعد الأزمنة . . ولا تقل عنها روعة قصيدته فى النيل . . التى جسدت شخصية النيل المعنوية بجانب شخصيته الحسية . . وبجانبهما تلقانا فرائده فى المديح النبوى . . وداليته التى يخاطب فيها شباب مصر بقوله :

وجه الكنانة ليس يغضب ربكم أن تجعلوه كوجهه معبودا
إنّ الذى قسم البلاد حباكمو بلداً كأوطان النجوم مجيدا
قد كان والدنيا لحود كلها للعبقريـــة والفنون مهـودا

● موقع شوقى من خريطة الشعر العربى فى مختلف عصوره أين يكون ؟

– فى رأيى أن شوقى يعد أكبر شاعر فى العصر الحديث لروعة موسيقاه وشاعريته وإذا أردنا أن نقرنه بأعلام الشعر العربى فى عصوره على مر التاريخ نجده يأخذ مكانة سامقة بين أفذاذهم ومن الصعب المقارنة بينه وبين أحدهم لاختلاف العصور والظروف والثقافات . ومع ذلك فهو يعد فى الذروة . ذروة يندر أن يبلغها أحد منهم !

يونيو سنة ١٩٧٧

دكتور/رشاد رشدى

الناقد كالعالم . . ليس له أن يفرض على الظاهرة مشاعره الخاصة !

دكتور رشاد رشدى عميد أكاديمية الفنون . . واحد من أعمدة حركتنا الأدبية والفنية . . فهو أحد عناصر التأثير البالغة الفعالية فى حركتنا النقدية منذ الخمسينات . . وقد يختلف بعضنا مع وجهات نظره . . ولكن لا يستطيع أن ينكر أنها أشاعت مناخاً نقديًّا فجّر الحوار والنقاش واستفادت بها الحركة الإبداعية . وأثرت اتجاهاتها . . وكما أثار العواصف والمعارك والحوار من خلال دوره النقدى . . فقد فعل نفس الشىء بعطائه قاصًّا وروائيًّا وكاتب مسرح أسهمت مسرحياته فى تشكيل معالم حركتنا المسرحية العربية . . بجانب هذا كان له دوره الهام والأساسى فى رحاب الجامعة . .

● قلت للدكتور رشاد رشدى :

أكاديمية الفنون التى أنت عميدها – ما هى أنشطتها . والرسالة المستهدفة من إنشائها ؟

obeikandl.com

– تضم الأكاديمية كثيراً من المعاهد الفنية . . الكونسرفاتوار . . معهد الموسيقى العربية . . معهد النقد الفنى . . معهد السينما . . معهد الفنون المسرحية معهد الباليه . . معهد دراسات الفنون الشعبية ، وكل هذه الأنشطة تستهدف إيجاد عناصر فنية متخصصة كل فى مجاله . . عناصر تعتمد فى مكوناتها على الثقافة ، فما عاد الفن مجرد موهبة تلقائية عفوية . . بجانب إيجاد أجيال تتذوق الفن وفقاً لأصول نوعيته . . فمتلقى الفن يجب أن تساند الثقافة أيضاً ذوقه الخاص . . وبهذا تكون رسالة الأكاديمية هى تغذية الحقل الفنى فى مجالاته المتباينة بكفايات فنية مثقفة . . إثراء للفن ذاته وتغذية للمناخ الفنى . بجانب ترشيد الذوق الفنى عند الجماهير .

● قد يتفرد الفنان فى مجال نوعيته الخاصة . . ولكن بشرط ألا يكون مقطوع الصلة ببقية الفنون الأخرى . هل هناك تفكير فى الربط بين مناهج معاهد الأكاديمية لتحقيق التخصص من خلال التنوع ؟

– بالتأكيد لم يغب هذا عن خطط مشروعاتى . . فهناك محاولة لتدريس مواد مشتركة بين الجميع فى كل المعاهد . . على سبيل المثال . ماهية الفن . . تاريخ الفن . . الحضارة الإسلامية . . تراث الثقافة العربية . . التذوق الموسيقى . . معالم الأدب العالمى . . هذا كله مادة مشتركة بين الجميع .

● أعتقد أن طبيعة معاهد الأكاديمية تختلف عن أى كلية أو معهد جامعى . . يمكن بالدراسة أن أتخرج دكتوراً أو مهندساً أو محاسباً أو محامياً . . ولكن بالنسبة للنشاط الفنى والإبداع الفنى هناك اعتبارات أخرى ، فالفنان مسألة لها خصوصيتها المغايرة . . هل ستعتمد الأكاديمية فى قبول طلبتها على الشهادات والمجاميع . . أو هناك مقاييس أخرى ؟

– ليست المقاييس التى تتحكم فى الالتحاق هى مجرد الشهادات وحدها . .

هناك الاستعداد الخاص للفرع الذى يريد الطالب أن يدرسه . . من أجل هذا يتم متحان قبول على ضوئه يمكن معرفة الإمكانيات المتاحة لدى الطالب أساساً والتى تؤهله لدراسة ما يبغى دراسته . . وبدون هذا الاستعداد الخاص لن تفتح له الأكاديمية أبوابها .

● التقليد الذى استنته الأكاديمية مؤخراً بمنح الدكتوراه الفخرية لتوفيق الحكيم ومحمد عبد الوهاب . مبادرة مشكورة لتكريم عمالقة الفن عندنا . . مع هذا يتبادر سؤال . . تعودنا فى مثل هذه المسألة أن تمنح الدكتوراه جهات تملك أساساً منح الدرجات العلمية كالماجستير والدكتوراه ؟

– ومن قال لك إن الأكاديمية لا تملك هذا الحق . . إنها جامعة فنون من مهامها أن تعطى شهادات الماجستير والدكتوراه كالجامعات الأخرى وفقاً لأصول التقاليد الجامعية !

● طيب . . عبد الوهاب . . تصرف معقول أن تبادر الأكاديمية بحكم طبيعتها لتكريمه ، توفيق الحكيم أما كان الأفضل أن تأتى المبادرة من الجامعة ؟

– بالنسبة للأكاديمية كان تصرفها طبيعيًّا . . فالحكيم رائد فى المسرح المصرى وليس ذنبنا أن تكون الجامعة قد فاتها هذا ، والحق أن الجامعة قصرت فى حق الكثيرين من عمالقة أدبنا وفنوننا . . وسوف تمتد مبادرة الأكاديمية إلى الكيان العربى بأسره تقديراً لأفذاذ رجاله فى مجالات الفنون .

● أطلقت أنت تسمية «اللارواية» على عملك الأدبى «رحلة فى القطار» وعملك الآخر «الرجل والجبل» إذن تحت أى جنس أدبى يمكننا أن نضع هذه الأعمال وما يماثلها . . وهل صفة اللارواية يمكن أن تكون لها مواصفات تميزها عن بقية الأنواع الأدبية الأخرى . . خاصة الرواية ؟

– اللارواية لون أدبى جديد فى الأدب . . مثل مسرح العبث . وهى ضد التقاليد الموروثة للرواية . . إنها محاولة لكسر الشكل الروائى والخروج من إطار سياجه ، فلا حوادث تتسلسل ولا رسم واقعى للشخصيات . . ولا وجود للزمن التقليدى إنها تداخل المشاعر والأحداث والمشاهد فى إطار وحدة الإحساس بدون تحديد النسب والمسافات كما يحدث فى الرواية بمفهومها التقليدى .

● المفاهيم التى حددتها للقصة القصيرة فى كتابك «فن القصة القصيرة» حيث استخرجت من أحشاء الأعمال القصصية العالمية المتميزة قواعد لتقنين القصة . . الآن وبعد تطور حدث للقصة فى أدبنا وفى آداب غيرنا . . هل مازلت مصرًّا على قوانين البداية والوسط والذروة ولحظة التنوير وغير ذلك ؟

– مازلت عند موقفى . . معتقداً بصحة هذه القوانين . . برغم أن القصة القصيرة اتخذت أشكالاً أكثر تعقيداً . . وحتى الأشكال التجريبية لو نظرنا لها نظرة نافذة سنجد أن هذه القوانين كامنة فى طواياها ! !

● هل تعتقد أن المنهج النقدى ضرورى لمصاحبة الناقد فى مسيرته مع العمل الذى ينقده . . أو الأفضل أن يطرح الناقد منهجه جانباً ليكتشف من داخل كل عمل على حدة مقاييسه الخاصة ؟

– حتى لا يضل الناقد طريقه . . لابد من منهج نقدى أساساً يعصم خطواته ، والمنهج السليم هو أن أكتشف قوانين العمل من داخله وإلا أفرض عليه نظريتى . . وأن أكون موضوعيًّا تماماً فى التعامل معه . . كالعالم أمام الظاهرة التى يريد اكتشاف قوانينها ليس له أن يفرض عليها مشاعره الخاصة . . ولا يمكن أن يكون هناك نقد إلا بوجود هذا المنهج الموضوعى الذى يقترب من العلم كثيراً . . لأن وظيفة النقد أن يرى العمل الفنى . كما هو فى حقيقته . . وهذه مسألة تتطلب ثقافة واسعة . واقتداراً على التذوق

والتحليل والاكتشاف والمقارنة بالتقاليد الفنية التى ينتمى إليها العمل .

● رشاد رشدى الناقد . . فى تقديرك ما الذى أضافه إلى مناخنا النقدى وهل شكلت وجهات نظره اتجاهاً له معالمه فى نقدنا الحديث وفى إنتاجنا الأدبى أيضاً ؟

– لا أدعى غير الحقيقة عندما أقول بأن وجهات نظرى – عندما كنت أمارس النقد بطريقة مكثفة – خلقت مناخاً نقدياً من خلال التصارع بين مدرستين . . المدرسة الرومانسية بزعامة المرحوم محمد مندور . والمدرسة الكلاسيكية التى كنت داعيتها . وأعتقد أن كتاباتى النقدية ومعاركى بشأنها قد أشاعت باعتراف كثير من الشبان لوناً من التفهم لعملية النقد وألقت الكثير من الأضواء على عملية الإبداع . . وساعدت على تصحيح مفاهيم خاطئة . . ومازلنا بحاجة إلى هذا فحتى الآن أغلب نقادنا ممن يعملون بالنقد – فى الصحف على الأقل – تفصلهم فجوات كبيرة عن ماهية النقد وماهية الفن . . ويحكمون على الأعمال الفنية بواسطة الانطباعات . . وإضافة إلى ما ذكرت فلقد استطعت فى الجامعة أن أخرج عناصر متذوقة إلى جانب عدد لا بأس به من المتخصصين الذين يمارسون النقد داخل وخارج الجامعة . . هذا دورى مادمت قد سألتنى ؟

● الذى لا شك فيه – ومهما تباينت مدارس النقد – أن النقد الأدبى قد أحدث تأثيراً كبيراً فى أدبنا الحديث . . فى مجال الفنون الأخرى كالسينما والمسرح والموسيقى والفنون التشكيلية هل هناك نقد يشكل تأثيراً فى اتجاهاتها ؟

– هناك محاولات . . مجرد محاولات بدائية لم تزل . . لا يوجد عندنا النقد الحقيقى فى هذه الفنون . . والأمل معقود على خريجى معهد النقد الفنى . . لأنهم يدرسون هذه الفنون مجتمعة . . ولو أتيح لهؤلاء المجال – وقطعاً سوف يتاح لهم = فسوف يسهمون فى إشاعة وتفجير مناخ من النقد الفنى فى الفنون التى ذكرت .

● لماذا اخترت عم أحمد الفلاح بالذات لتحاكمه ؟

– لأن عم أحمد الفلاح يمثل الشعب المصرى الذى ظلم طويلاً وأهين طويلاً من حكامه وغير حكامه . . والمحاكمة تكشف عن جوهره وأنه لم يكن يستحق أبداً ما لحق به . .فالمحاكمة تنتهى بأن يحاكم هو حكامه . . فالذى يستحق المحاكمة والإدانة ليس هو . . فأنا حاكمته أساساً لأنصفه وليشهد الجميع ببراءته ، لقد كانت المسرحية من وحى حرب أكتوبر . . التى كسبناها بقوة روح الإنسان المصرى أولا . وعم أحمد الفلاح هو رمز هذا الإنسان المصرى والتعبير عنه .

● ما هى المسرحية التى تعتبرها أفضل أعمالك من حيث النص . . والمسرحية التى كان المسرح أكثر توفيقاً فى توصيل وجهة نظرك من خلالها ؟

– وددت لو كان السؤال قد جاء معكوساً . . «رحلة خارج السور» هى أفضل أعمالى ولكن الإخراج لم يتمكن من توصيلها إلى الناس . . المسرحية التى برزت إلى الناس كانت «بلدى يا بلدى» فالإخراج «ربحها» تماماً . . وعلى كل ليس من الميسور أن يرضى المؤلف عن عمله مائة فى المائة . . فله تصوره وللمخرج أيضاً تصوره !

● هنا يتبادر سؤال . . هل من حق المخرج أن يخرج النص من الزاوية التى يراها أكثر توفيقاً من وجهة نظره . . أو عليه أن يلتزم أساساً بحرفية النص الدرامى وتعليمات الكاتب بشأنه ؟

– من حقه أن يخرج النص برؤيته . . ولكن ليس من حقه أن يجور على رواية الكاتب وأن يبتعد عن إخراجه بأسلوبه الذى كتب به . . فالنص الواقعى لا يمكن إخراجه رمزيًا . . أو بالأسلوب البريختى كما حدث لمسرحية «رحلة خارج السور» !

● من هو المخرج الذى شعرت بأنه يفهمك . . والممثل أو الممثلة الذى عبر أو عبرت عن إحدى شخصياتك كما تمنيت أن تراها مجسدة فوق المسرح ؟

– بالنسبة للإخراج كمال ياسين الذى أخرج أغلب أعمالى . . والمخرج الآخر هو جلال الشرقاوى . . بالنسبة للتمثيل سميحة أيوب . . وحمدى غيث وعبد الله غيث .

● مسرحك . . ما هى الرؤية الاجتماعية التى تقف خلفه ؟

– الخلفية الاجتماعية لأعمالى تتمثل فى اعتبار أن الإنسان كمجتمع أو كفرد لا يمكن أن يقهر إلا إذا أراد هو ذلك . . ولا يمكن لإنسان أن يباع إلا إذا أراد هو أن يبيع نفسه . . هذه هى المسألة . . والذى يكمل هذا اعتبارى أن الإنسان إذا باع نفسه مرة واحدة فسوف يبيعها على الدوام . . مع اعتقادى بأن الخلاص للفرد أو المجتمع هو الحب . . الحب بمعناه الواسع الشامل . . وليست هناك وسيلة أخرى لهذا الخلاص غير الحب . فلو كنا نحب مصر كما ينبغى أن يكون الحب لما تركناها تتعذب ولعملنا على خلاصها منذ أمد طويل ! !

● دكتور . . هل تتهمنا بأننا لا نحب مصر ؟ ! قلتها وأنا أشير لنفسى وللآخرين ، فقد وفد علينا وقتها مجموعة من تلاميذه وطلبة الأكاديمية فى شقته الأنيقة المطلة على النيل .

– نحن لا نحب مصر الحب الكافى . . حب مصر يعنى أن نضحى بذواتنا إلى حد الفناء من أجل ذاتها . . ولكن ذواتنا لم تزل تحجب ذاتها !

● بعد الشوط الذى قطعه المسرح المصرى . هل التـمصير ضرورة لهذا المسرح ؟

– ليس التمصير ضرورة . . قل على لسانى إنه نكسة !

● هل هناك مسرحية من أعمالك . . ترى صلاحيتها لأن تقدمها السينما فيلماً ؟

– حاولوا معى بالنسبة «للفراشة» و «لعبة الحب» ثم انسحبت بعد العقد . . السينما «تسيح» الرواية ، مؤخرا تعاقدت معى شركة أجنبية لتقديم مسرحيتى «شهرزاد» التى فرغت من كتابتها .

● المسرح السياسى فى مصر . هل استطاع أن يوصل رؤيته السياسية بلغة الفن أولاً ؟

– لا . . ليس هذا الزعيق فنًّا .

● من هى المطربة التى تشجيك وتحرص على سماع صوتها ؟

– أم كلثوم .

● بعد رحيل أم كلثوم ؟

– مازالت أم كلثوم موجودة .

● آخر مسرحية شاهدتها . . وآخر اسطوانة سمعتها . . وآخر كتاب قرأته . . مع انطباعاتك ؟

– النسر الأحمر . . وكان يمكن أن تكون أفضل « نجوى » لمحمد عبد الوهاب . . إنها من أعظم ما أبدع . إنها أروع من عبد الوهاب القديم . . ليته يواصل . . فصوته يتجدد أبداً ، « سنوات الهوان » كتاب إبراهيم سعدة . . من أهم وأفضل الكتب التى صدرت حديثاً .

● أجهزتنا الإعلامية الآن . . من صحافة . . والإذاعة المرئية والمسموعة . . هل أصبحت فى مستوى عصرها . وفى مستوى ما يحدث عندنا ؟

– الإذاعة تدهورت عن المستوى الذى كانت عليه منذ ثلاثين عاماً . . التليفزيون أسوأ عشر مرات مما كان عليه وقت إنشائه . . الصحافة . . انتحرت وتلفظ أنفاسها ! !

● سؤال أخير يا دكتور . . فطلبتك وتلاميذك على ما يبدو قد ضاقوا بإطالتى – معذرة يا إخوة سأتركه لكم – ثمة ملاحظة لا أحب أن أكتمها عنك . . أصدرت أنت مجلة « المسرح » وجاءت مجلة جادة ذات مستوى رفيع وأسهمت فى خلق ثقافة مسرحية

نقداً وإبداعاً . . كانت تنفد بمجرد صدورها لأهميتها . . الآن نلاحظ أن مجلتك «الجديد» خفيفة . . وليست فى مستوى مجلة المسرح ؟

– مجلة المسرح مسألة مختلفة تماماً . . لأنها كانت مجلة متخصصة ، ومن الطبيعى أن تكون ذات وزن ثقيل لأن طبيعتها تدعو إلى هذا وتقتضيه . . «الجديد» مجلة ثقافية عامة غير متخصصة . . المهم فى الجديد أنها تخاطب الجميع . . مجلة للجميع . . تستهدف تقريب الأدب والثقافة من الجماهير . . وتقريب الجماهير منها ، هذه سياستى لها منذ البداية . . لأن المثقفين إذا كانوا موجودين «وهذا أمر مشكوك فيه» فهم لا يقرأون . . وفى تصورى – رغم أنى لا أزعم الاشتراكية – أن واجب الدولة هو أن تنشر الثقافة على مدى واسع بحيث لا تقتصر على فئة دون أخرى . . وأعتقد أن تلك كانت رسالة «الجديد» وقد نجحت فيها . .

● نظرات طلبتك تقذف الغيظ وتوشك أن تنقض . . عندى ما يقال ولدى رغبة فى المناقشة . . ولكن النظرات نفد صبرها . . سلام عليكم . . شكراً يا دكتور . .

يوليو سنة ١٩٧٥ .

مولود قاسم

الإستشهاد . . تحت راية الإسلام !

● هذا الرجل . . مولود قاسم وزير التعليم الأصلى والشئون الدينية بالجزائر واحد من أنشط العناصر الجزائرية المثقفة . . والتى تقع على عاتقها مهمة تأكيد الانتماء الجزائرى للعروبة والإسلام . . وهو يقوم بدور بالغ الأهمية فى إعادة اللسان الجزائرى لأصوله العربية . وهو يجمع فى ثقافته بين أصالة التراث وعظمته . وبين معطيات العصر وحداثته ، ومن أجل هذا ووفقاً لهذا انطلقت دعوته : «لنكن أبناء عصرنا مع المحافظة على أديم مصرنا» ، تعبيراً عن الأصالة والمعاصرة ، طريقاً لبناء الوطن الجزائرى الجديد . وخلال انعقاد الملتقى الحادى عشر للفكر الإسلامى «بورجلان» التقيت بمولود قاسم لأطرح عليه بعض التساؤلات التى قدم هنا إجابته عليها . . .

ليكن الإسلام حاضراً على الدوام :

● قلت لمولود قاسم وزير التعليم الأصلى والشئون الدينية بالجزائر : مبادرة طيبة

obeikandl.com

تلك التى تقدم عليها الجزائر كل عام لطرح قضايا الفكر الإسلامى فى ملتقى عام فى محاولة لاستخلاص حلول لما يواجه هذا الفكر من مشكلات . . هل تعتقدون أن هذه الملتقيات قد حققت الغرض منها . . هل أشاعت مناخاً فكريًّا لمواجهتها فى البلدان التى تدعى وفودها لهذا الملتقى . . أو على الأقل فى الجزائر ذاتها ؟

– وأجابنى مولود قاسم بقوله :

بالطبع لا يمكن أن تتحقق النتائج الموجودة فى التو واللحظة . . فهذا عمل متواصل يعطى ثمرته على المدى الطويل . ومع ذلك يمكننا القول بأن هذه الملتقيات بمحاضراتها ومناقشاتها ومطبوعاتها . وأجهزة الإعلام التى بها قد أحدثت جوًّا ثقافيًّا وروحيًّا ، لا أبالغ عندما أزعم بأنه يبشر بالخير ويفتح آفاقاً مشرقة . . مما يشجعنا على الاستمرار والمواصلة والاستزادة من هذه الملتقيات . . إنهم هنا فى الجزائر أساتذة الجامعة وطلبتها . . وشباب الثانويات المتعطش للثقافة ورجال الإعلام والصحافة يستفيدون من الآراء التى تطرح فى الملتقيات ، ومن الحوار الذى يجرى بينهم وبين المدعوين لهذه الملتقيات من رجال الفكر الإسلامى وغيرهم من المفكرين الأجانب . . بل إننا على مستوى أجهزة الدولة الثقافية نتبنى كثيراً من الأفكار التى يصل إليها الملتقى والتوصيات التى يختتم بها أعماله .

أما خارج الجزائر من بلدان العالم الإسلامى . . وحتى من غير البلدان الإسلامية فكثيراً ما ترتد إلينا أصداء ما يدور فى هذه الملتقيات . وكل هذا يشجعنا على الاستمرار فى هذه الملتقيات وتوسيع مجالاتها وتنويع محتوياتها .

إن علينا أن نجعل الفكر الإسلامى حاضراً على الدوام ليقدم الحلول لكل ما يواجه العالم الإسلامى من مشاكل وتحديات . وهذا أفضل طريق لتحصين الأجيال ضد كل أنواع الغزو الفكرى . ويعطيها الثقة فيما لديها والإيمان بقدرته للوصول إلى المستقبل

كلمة الجهاد . . تعنى الإسلام :

● قلت : وبالمناسبة نعرف أن الإسلام لعب دوراً ثورياً حاسماً فى إنهاء الوضع الاستعمارى فى الجزائر . برغم كثافة هذا الاستعمار وعمق تغلغله . . ما هو الدور الذى يلعبه الآن فى مسيرة الجزائر نحو المستقبل ؟

– بلا جدال لعب الإسلام الدور الأساسى فى إنقاذ الجزائر من السيطرة الفرنسية ، بل كان المحرك الأوحد لتأكيد القومية الجزائرية فى مواجهة محاولات إبادة هذه القومية . . ويكفى أن نرمز لتأكيد هذا بثلاثة أسماء كلها لمسمى واحد . . إن الكفاح التحريرى كان يسمى بلسان الشعب «الجهاد» وصحيفة جبهة التحرير ثم الحكومة المؤقتة كانت وما زالت تسمى «المجاهد» وثوار التحرير والمقاتلون من أجل الحرية كانوا يسمون «المجاهدين» ولدينا الآن «وزارة قدماء المجاهدين» و«الجهاد» برغم ما يتبادر من مدلول لغوى واسع لها هى كلمة إسلامية لا يمكن أن توحى إلا بالمضمون الإسلامى الذى يقف وراءها .

أما ما هو دور الإسلام اليوم فى الجزائر فإنه لا يقل عن دوره بالأمس . . كان فى الماضى يمثل حصانتنا ضد اقتلاع الذات . . وهو اليوم يفرز لنا فعاليات هذه الحصانة ومناعتها فى مواجهة كل الأيدلوجيات وتصفية كل رواسب الاستعمار وكل ما يرد إلينا من أنواع فكرية تستهدف التأثير فى مقوماتنا وخصائصنا . . من أى جهة جاءت وبأى لون تسربلت . وهذا الذى أقوله لك عن الإسلام يبدو جلياً فى أجهزتنا التربوية والثقافية خصوصاً فى مجال التعليم . . كما يتمثل واضحاً وناصعاً فى الوثائق الرسمية للدولة والحزب . ويؤكده الميثاق الوطنى . . كما يؤكده دستورنا الذى صدر مؤخراً . . إن الدين الرسمى لدولة الجزائر هو الإسلام . وليس هذا مجرد نص تقليدى . . إن الإسلام بالنسبة

لنا أنفاس وجودنا وهواء حياتنا . . وليس معنى هذا أن نتقوقع وننغلق دون العالم والعصر . والاستفادة من التجارب الناجحة لدى الغير . . فالإسلام يحثنا على السير فى الأرض ، واحترام تجارب الغير . لنظل راسخى الأقدام على أديمنا مستندين بالدرجة الأولى إلى حصانتنا وقيمنا العربية وارتباطنا بالأمة الإسلامية الكبرى .

كل الثورات قامت تحت علم الإسلام

● إن حماس وإخلاص الذين يديرون جهاز السلطة الوطنية فى الجزائر للعروبة والإسلام يدعوانني للتساؤل عن مدى الدور الذى لعبته الثقافة الإسلامية فى تشكيل مكونات هؤلاء القادة روحيًا وفكريًا ؟

– لدينا هنا فى الجزائر كثير من القيادات الوطنية المسئولة من الذين تشبعوا بالثقافة الإسلامية بأعمق وأوسع المعانى . . كما أن لدينا بعض الذين أخذوا منها بنصيب وافر بدرجات متفاوتة سواء منهم الذين درسوها فى معاهد وجامعات المشرق وخاصة مصر وبعض البلدان الشقيقة . وبلدان المغرب . . إن كل الثورات التى اشتعلت فى الجزائر غداة الغزو . كلها بلا استثناء كانت تنطلق باسم الإسلام . ترفع رايته وتهتف باسمه . وتواجه الاستشهاد تحت علمه . . وإذا استعرضنا كل هذه الثورات تأكدت لنا هذه الحقيقة ، وعندما نرجع إلى الإنسكلوبيديا الفرنسية فى جزءيها الخاص بالجزائر نجدهم يعترفون بهذه الحقيقة ، حقيقة أن كل ثورات الجزائر قامت باسم الإسلام ومن أجله . وعندما استطاعت فرنسا أن تخمد الكفاح المسلح قامت الحركة الوطنية والسياسية والإصلاحية باستيحاء أفكار جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وشكيب أرسلان على أساس إسلامى بالدرجة الأولى .

وكانت هى التى أدت على مختلف مراحلها فى النهاية إلى استئناف الكفاح المسلح

فى نوفمبر ١٩٥٤ وكان لابد أن يكون هذا الكفاح الطويل باسم الإسلام هو صاحب التأثير الأوحد فى كل الذين رفعوا السلاح ليعيدوا للجزائر استقلالها . . وليعيدوها للعروبة وللإسلام .

علينا أن ننقذ أفريقيا

● طرح فى الملتقى الحادى عشر للفكر الإسلامى مؤخراً . موضوع الإسلام الآن فى أفريقيا . ما هو المطلوب من العالم الإسلامى والعربى بالذات للحفاظ على إسلام الأفارقة وترسيخه فى مواجهة عواصف فكرية تهب الآن على القارة . . وماذا تستطيع الجزائر المسلمة العربية أن تقوم به فى هذا المجال ؟

– أنت تعرف أن الوضع الجغرافى «لورجلان» التى يحتضن صدرها هذا الملتقى غير بعيد عن بلاد السودان بالمعنى الواسع كما كان ابن خلدون يطلق على أفريقيا . .

ونحن نعرف أن التبشير والغزو الفكرى فى المجالات المختلفة يستعمل جميع الوسائل فى بلدان أفريقا فى شمالنا الواسع من السويس حتى غرة الأطلس ، فهو يركز بالدرجة الأولى على إخواننا تحت الصحراء – أفريقيا الجنوبية – وما قضية السودان ببعيدة عنا وإن لم تبرز بالشكل الإعلامى الذى يحيط بكل أبعادها . .

إن أفريقيا تتعرض الآن لمحاولات التسرب بكل الأشكال القديمة والحديثة وعلى الدول الإسلامية أن تفطن لهذا وأن تمارس دوراً جديًّا فى حماية القارة من هذه المحاولات التى تريد النفاذ إلى أحشائها . . وإحباطها بوسائل فعالة . . علينا أن ننشط لإقامة الجامعات والمراكز الثقافية . . والمدارس باللغة العربية . . واللغة الأجنبية السائدة فى كل منطقة والتى ورثتها عن المستعمر الذى كان يهيمن على شئونها .

وفيما يخص الجزائر فإننا بجانب ما نقدمه فى المجال الاقتصادى والثقافى والتقنى

لبعض الدول الأفريقية فى حدود إمكانياتنا المتواضعة فيمكننى أن أشير إلى بعض ما نقوم به من استقبال أعداد وفيرة من طلبة هذه الدول فى مدارسنا حتى البكالوريا حيث ندرس لهم المواد باللغة العربية أولاً وباللغات الأجنبية ثانياً . . وفى خطتنا أن نستقبل بافتتاح بعض الثانويات فى التعليم الأصلى أضعاف هذه الأعداد مستقبلاً . . وبافتتاح كلية الشريعة والقانون المقارن فى العام القادم بإذن الله والتى ستكون نواة لجامعة إسلامية متكاملة بجانب الكليات العلمية . . سوف نتمكن من تخفيف العبء على الجامعات الإسلامية فى البلدان الشقيقة لاستيعاب الأعداد المتزايدة من طلبة أفريقيا . . ولكن هذه الجهود هى دون المطلوب . . إذا أردنا أن نحصن أفريقيا بطريقة جادة . .

● فى مصر نتابع نحن تجربة الجزائر لتعريب محيطها . . وزارتكم تقوم بدون رائد فى مجال التعريب . . ما مدى النجاح الذى حققته . . وهل هناك عقبات تواجه التجربة ؟

– هل سمعت النشيد الذى كان يردده طلبة الجزائر لحظة افتتاح الملتقى «شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب» إن انتسابنا إلى العروبة هو حقيقتنا الجوهرية الأولى . . وتعميق هذا الانتساب لابد أن يصاحبه أن تكون العروبة هى اللغة صاحبة السيادة على كل المحيط الجزائرى . وهناك جهود منسقة تتم على مختلف دوائر الدولة والحزب من أجل إحلال اللغة العربية . . لإعطاء الشخصية الجزائرية كل مقوماتها بدون تعصب أو تشنج ، ولكن انطلاقاً من كون اللغة هى المقوم الأساسى لتأكيد شخصية الأمة ، أى أمة . . لقد حاول الاستعمار الفرنسى عزل الشعب الجزائرى عن لغته الطبيعية . . ومن الطبيعى أن تعود للشعب الآن لغته . . وفعلاً وجد نوع من المقاومة لسياسة التعريب من بعض الذين حرمهم الوضع الاستعمارى من تعلم اللغة

الأم . . وهؤلاء تقدمت بهم السن ويعملون فى جهاز الدولة ، وظنوا أن سياسة التعريب تضر بمصالحهم كموظفين فى جهاز الدولة التى أعلنت حتمية أن يتعلم جميع من هم فى جهاز الدولة العربية . . وخصصنا لذلك بعض الساعات واحتسبناها من ساعات العمل الرسمية . . ولأن هؤلاء استخلصوا من هذا بعض التصورات الخاطئة فقد قابلوا هذه العملية الوطنية بنوع من الشك والتشاؤم والعرقلة الصامتة . . وبعضهم بدون شك كانت تحكمه العقدة الاستعمارية فى تحقير اللغات الوطنية والزعم بأنها غير قادرة على مجاراة العصر.

ولكن التجربة المخططة والتوعية المنظمة استطاعت أن تقنع هؤلاء وأولئك بأنهم أساءوا التقدير.

إن استتباب سياسة التعريب بشكل مذهل وإقبال الجميع على إتقان العربية يجعلنا فى غاية التفاؤل بشأن نجاح سياسة التعريب . . لقد اندحرت كل الحجج التى زعمت بأن العربية غير قادرة على ملاحقة العصر وإنجازاته العلمية . . لقد كانت هذه اللغة فى القرون الوسطى حتى بداية النهضة هى لغة العلم فى جميع أنحاء العالم . . أو على الأقل فى حوض البحر الأبيض حتى حدود الشمال الأوربى . . وتستطيع اليوم بخصائصها الذاتية أن تكون إحدى اللغات العلمية على مستوى العالم بأسره .

فبراير سنة ١٩٧٧

obeikandl.com

ثروت أباظة

عندما بدأ التلفزيون كنت لا أفارقه . . الآن لا أكاد أراه ! !

تقف أعمال الكاتب المصرى ثروت أباظة علامة متميزة من معالم حركتنا الأدبية فى الرواية والقصة القصيرة . . وقد امتد تأثير هذه الأعمال إلى مجالات فنية أخرى غير مساحة الكلمة المقروءة فأخذت مواقعها من خريطة السينما والإذاعة والتليفزيون مروراً بالمسرح . . وأصبحت بذلك جزءاً من نسيج قماشنا الفنى بنوعياته المختلفة . . وفى هذا الحديث يقدم لنا ثروت أباظة إجاباته عن تساؤلات طرحتها عليه .

● قلت لثروت أباظة :

بدأ تعاملك مع التليفزيون بقصة «هارب من الأيام» التى قدمتها السينما بعد ذلك . . فى رأيك من منهما كان أكثر إجادة فى تقديم القصة فنيًّا ؟

– إن شئت الحق كان المسرح أكثر توفيقاً فى تقديم القصة ، فقد عرضتها فرقة الإسكندرية المسرحية من إعداد أمينة الصاوى بصورة أفضل مما ظهرت به فى

التليفزيون أو السينما أو الإذاعة ، فالأخيرة قدمتها أيضاً وأعدها الأستاذ أحمد عباس صالح لإذاعة «صوت العرب» أما المقارنة بين السينما والتليفزيون فهى مقارنة جد ظالمة لأن مدة العرض فى التليفزيون تجاوزت ١٢ ساعة بينما مدة العرض على الشاشة بالسينما لم تزد على ساعة ونصف .

● هل أنت راض عن الأفلام السينمائية التى أخذت عن رواياتك . . وفى أى فيلم كانت السينما أكثر توفيقاً فى التعبير عن وجهه نظرك كما تضمنتها الرواية ؟

– أنا لا أطالب السينما أو غيرها من وسائل الإعلام أن تظهر العمل الروائى المكتوب كما هو . . وإذا انتهينا إلى هذه النتيجة فمن الميسور أن تكون الإجابة عن سؤالك بنعم . . ولعل «شىء من الخوف» هو خير ما ظهر من أعمالى حتى الآن . . وإن كنت أتوقع للفلمين اللذين سيعرضان هذا العام وهما «لقاء هناك» و«أمواج بلا شاطئ» نفس نجاح «شىء من الخوف» لقد شاهدتهما فى عرض خاص . . وشعرت بالارتياح . .

● جربت كتابة الحوار لبعض الأفلام . . ما السر فى أنك لم تدخل مجال السيناريو . . هل عرض عليك ذلك ؟

– السيناريو فى الواقع رؤية جديدة للعمل الفنى . . وقطعاً ليست منفصلة ولا مغايرة ، ولكنها تنطلق من زاويتها الخاصة التى تتلاقى معه ، ولكنها تتميز عنه ، ولذلك أصر دائماً على وجود كاتب سيناريو معى عند تحويل أعمالى إلى السينما . . إن كتابة السيناريو فن قائم بذاته لم أبدأه من أوليات حياتى ، وأخشى الآن أن أدخل مجال تجربة جديدة . . أما كتابة الحوار فهى من صميم عملى ، فقد بدأت كاتباً إذاعيًّا والحوار جزء أساسى من العمل الروائى . . وهو فى السينما يحدد الشكل الدرامى للفيلم وهو عمل تمرست عليه ولا أخافه . . وأصارحك بأننى أقدمت مرة على تجربة كتابة سيناريو

بمساعدة المخرج الذى زين لى هذا . . وفشلت التجربة . والحمد لله أن فشلها ظل مسطوراً على الورق فحسب . .

● بعد هذا الرواج الذى يحققه الفيلم العربى . . بماذا تنصح رجال السينما حتى يستمر هذا الرواج فى تصاعد يعتمد على المستوى . . فهناك محاذير من أن يتواكل رجال السينما على هذا الرواج فيتناسوا الجودة الفنية ؟

– أبغض أن أقف موقف الواعظ الذى يقدم النصيحة . . ولذلك فأنا لا أقدمها . . وإن كنت أقبلها . . ولكنى أطمئنك بأن الجمهور وحده كفيل بوضع رجال السينما على الطريق الصحيح ، ولا يخفيك هذا الإقبال الظاهرى على الأفلام التافهة الهابطة . . فبجانب هذا الإقبال وفى ذروته تجد المنتجين يتجهون إلى كبار الكتاب لشراء أعمالهم لإنتاجها وهم حين يفعلون ذلك يقدرون حقيقة أن البقاء للأصلح . . وأن الإقبال على التافه مؤقت مهما طال أمده .

● ولكننا نجد أفلاماً تافهة الموضوع ركيكة الإخراج تجد إقبالاً . . فهل معنى هذا أن الجمهور فسد ذوقه ؟

– من التجنى أن يُقال هذا . . الجمهور يحب أن يضحك وأن يهرج أحياناً . . وهو على استعداد أن يتقبل هذه التفاهات مرة أو مرتين أو أكثر . . ولكن المنتج هو ميزان الجمهور ، ولوكان على يقين من أن هذا الإقبال على التافه سوف يستمر لأعرض عن شراء قصص كبار الكتاب . . إن الجمهور أشبه بمار فى طريق سمع نكتة وقحة فضحك ثم انصرف . . ولكنه لن يتوقف فى كل مرة ليسمع نفس النكتة . . فتأكد أن الجمهور سوف ينصرف عن هذه التفاهات التى تقدم له .

الكاراتيه وأرسين لوين :

● طيب . . ما هو تفسيرك لظاهرة إقبال الجمهور على أفلام العنف والكاراتيه . . قطعاً هناك سر وراء الظاهرة ؟

– تبقى فى الإنسان غالباً بقايا من طفولته . . عندما كنا صغاراً كانت تروقنا وتبهرنا الحركات البهلوانية وأفلام «الشجيع» والحلقات . . وهذا فى حد ذاته لا يمثل شرًّا فى النفس ، فنحن قد نحب أن نرى على الشاشة بطلاً يضرب آخر ، ولكننا فى نفس الوقت لا نحب أن نكون فى نفس الموقف لا ضاربين ولا مضروبين . والجمهور فى السينما قد يعجب بتصرفات الشرير أو اللص ولكننا عندما نجد نفس الممثل الذى قام بدور الشرير قد أصبح رجل شرطة يطارد اللصوص ويحمى الأمن فإن تصرفاته تستدعى نفس الإعجاب من الجمهور . ولعلك تذكر أنه فى نفس الفترة التى كانت توزع فيها روايات «أرسين لوين» برواج رهيب كانت روايات «شرلوك هلمز» توزع بنفس الرواج . . الأول لص ذكى . . والثانى مفتش بوليس يقظ . . والجمهور فى الحالين يعجب بالذكاء والأعمال الخارقة دون نظرة جديدة إلى الأخلاقيات التى تقف وراء هذه الأعمال . . فالإقبال اليوم على الكاراتيه وأعمال العنف امتداد لإقبال جيلنا على حلقات اللص الشريف . والمخبر الذكى .

● تدعونا ظاهرة رواج الأفلام الميلودرامية . . و«المفبركة» إلى تساؤل . لماذا يشترى المنتج قصص كبار الكتاب بأسعار مرتفعة نسبيًّا . . وهى مهما نجحت فإنها غالباً – ودوننا شباك التذاكر – لا تنجح قدر النجاح الذى حققته أفلام الميلودراما والتوليفات التقليدية المعروفة ؟

– الميلودراما فى ذاتها غير مرفوضة أصلاً . . وهناك ظاهرة أحب أن أتطرق إليها .

هناك نقاد أوجدوا أسماء وجعلوا الهجوم عليها أمراً مسلماً به . ومن ذلك كلمة الميلودراما . . بينما هى لا عيب فيها إذا أحسن الكاتب تقديمها والمخرج إخراجها . ومن الأسماء التى روج النقاد ضدها كذلك «الشخصية المسطحة» ، بينما هى من أصلح الشخصيات للأعمال الدرامية . فالشخصيات المسطحة التى يتناول الكاتب فيها جانباً واحداً من الشخصية وهو أساساً يريد لشخصيته أن تبدو من هذا الجانب وحده . . كالمصور الذى يلتقط صورة جانبية من زاوية معينة فلا أحد يستطيع أن يتهمه بالخطأ لأنه فعل هذا . . ولأضرب لك مثلاً . . شخصية «جان دارك» لقد قرأت أغلب الأعمال الأدبية التى تناولتها . . برناردشو . ماكسويل إندرسون - ترجم ثروت أباظة للعربية مسرحيته عنها - جان أنوى وغيرهم . . وإذا كنت أنت قد قرأت هذه الأعمال فأعتقد أنك ستوافقنى على أن جان دارك بدت لنا من خلال أعمالهم شخصية مسطحة . . ومع ذلك فهى من أنجح الشخصيات الروائية . . ونفس النجاح كان لها فى السينما والمسرح . فدعنا من هذه المسميات . . المهم طريقة التناول واقتدار الفنان على تصوير شخصيته من الزاوية التى يراها . .

الفنان هو الأساس :

● التليفزيون بعد مسيرته الطويلة نسبيًّا عندنا ماهو تقويمك للمسافة التى قطعها ؟

- أولاً . . هل قطع التليفزيون مسافة إلى الأمام . . أم تراه قطعها إلى الوراء . . الحقيقة أننى كنت حين بدأ التليفزيون لا أكاد أفارقه . . والحقيقة أننى الآن لا أكاد أراه . . والعجيب أن الخبرة الضخمة التى تتمثل فى الإذاعة تتخلف تخلفاً واضحاً فى التليفزيون ، وهذا يرجع إلى أن القائمين على التليفزيون كانوا يعينون موظفين ليكونوا فنانين . وأنت تستطيع أن تعين شخصاً ما فى أى وظيفة يريدها أو تريدها له . . ولكنك

لا تستطيع لا أنت ولا غيرك أن تصنع فناناً . . وللأسف لم يحاول القائمون على التليفزيون البحث عن الفنانين . . وإنما نظروا فى الشهادة أو الرخصة وعينوا . . وكان هذا الفشل الذى تراه . .

لا بأس . . ولا بد :

● الأعمال الأدبية العالمية . . هل توافق على اقتباسها وتمصيرها . . أو لابد من تقديمها معربة مع الالتزام بالنص ؟

– أوافق على الاتجاهين . . لا بأس من الاقتباس . . ولابد من الترجمة . . فالأعمال العالمية تتسم بأنها إنسانية والمحاور الأساسية التى تقوم عليها تصلح للعالم أجمع ، فإذا استطاع المقتبس أن يجعل الخلفية مصرية دون أن يشعر المتفرج بالأصل الذى اقتبس منه فالاقتباس هنا مفيد ويثرى . . أما الترجمة فلابد منها أساساً ولكنها ستوافق الفئة المثقفة من الجماهير ويندر أن يستجيب لها الجمهور العادى . فى السينما على وجه الخصوص .

● بعد انتشار موجة الأغانى الخفيفة . . هل للأغنية ذات النفس الطويل . . والأغنية القصيدة مستقبل . . ؟

– أعتقد أن الأغنية القصيدة هى المستقبل لأنها فى تصورى تشعر الجمهور بأنه مثقف . . يستطيع أن يتذوق كلماتها ويستجيب لها ويتجاوب معها . . أما الأغنية الطويلة فأعتقد أنه لا سبيل لها أن تعيش بعد وفاة أم كلثوم ولا داعى أن تعيش . .

أوبريت مجنون ليلى :

● وبالمناسبة . . من هى المطربة التى ترى فى صوتها خصائص ملائمة لأغنية القصيدة الشعرية . . ؟

– فايزة أحمد . . ونجاة . وبالمناسبة أتمنى أن يلحن الأستاذ الكبير محمد عبد الوهاب «أوبريت مجنون ليلى» ليغنيه عبد الحليم حافظ مع نجاة . . فهذا هو العمل الجدير به والكفيل بأن يكتب له الخلود المؤكد . .

● ما هى الأسماء الجديدة التى لفتت نظرك فى مجال السينما ؟

– من كتاب السيناريو أحمد عبد الوهاب ومصطفى بركات ورأفت الميهى ومصطفى محرم . . ومن كتاب الحوار لم يلفتنى أحد . الحوار الذى سمعته مجرد جمل تقليدية محفوظة تكاد تكون على المقاس بدون أن ينم منها ما يكشف أبعاد الشخصية أو يكشف العمل الدرامى . . حتى النكتة أجدها مصنوعة غير متدفقة . . وفى المونتاج لا أحد يستطيع فى رأيى أن يقف مع سعيد الشيخ . . وفى الإخراج أشرف فهمى وعلى عبد الخالق ولم أشهد للأستاذ سعيد مرزوق فيلمه الأخير وأرجو أن يكون قد نحا فيه إلى شىء من الاقتراب من الجمهور وفى التمثيل بوسى أعجبتنى . . وقد سمعت عن حياة قنديل كلاماً طيباً . . وهناك ممثل اسمه حسن عبد الحميد رأيته فى التليفزيون . . وأتمنى أن يمثل لى شيئاً فى السينما . .

● ما هو توقعك لمستقبل السينما . . هل يمكن أن يقضى عليها التليفزيون ذات يوم . . وأنا هنا أتحدث عن السينما عالمياً وكذلك التليفزيون فرأيك الذى ذكرته هنا من قبل فى التليفزيون المصرى بالتأكيد لا ينطبق على التليفزيون عالمياً ؟

– بدون شك كان للتليفزيون تأثيره فى السينما عالمياً ولعلك تدرك هذا من إفلاس

بعض شركات الإنتاج التى كانت قوية فى أمريكا ، ولكنى أعتقد أن أثره قد انتهى إلى هذا الحد ولم تعد أمامه مساحة ليكسبها . . وربما انتهى به الأمر إلى التراجع بدلاً من الامتداد ، وتعود السينما إلى مكانتها فالتليفزيون أخذ زهوته وراحت عنه جدته ، وبقيت السينما وأعتقد أنها ستبقى . والدليل على ذلك أن السينما لا تستطيع أن تقضى على المسرح وتستخرج شهادة وفاته كما ظن البعض حين ظهورها . . ولكل فن مقوماته التى لا يمكن أن تغنى من مقومات الفن الآخر . . والجماهير تستطيع أن تستوعب كل الفنون المَوجودة وأكثر منها عندما توجد .

● الرقابة السينمائية ما هو موقفك منها هل ترى أن تبقى أو تحبذ إلغاءها ؟

– لابد أن توجد . . وهى موجودة فى كل الدنيا . . بشرط ألا يكون الرقيب كاتباً للسيناريو أو محاولاً لذلك . . وألا يكون للرقابة حق الحكم على جودة الفيلم أو عدم جودته ، لأن هذا الحق ملك للمنتج وللجمهور وحدهما . .

● فى هذه الحالة ماذا يبقى لها ؟

– يبقى لها فحسب أن تمنع الفحش البالغ . . هذا مجرد دورها . .

عباءة الرسول يجلس فوقها الشعراء :

● عندما يشترون منك قصة لإنتاجها سينمائيًا . . هل تكون لك علاقة بها عند التنفيذ ؟

– إذا لم يتفق معى على كتابة الحوار لها . . ينتهى دورى عند كتابة العقد ولو أننى أصر دائماً على كتابة الحوار . .

● رواياتك الأدبية تقف خلفها وتتأكد من خلالها رؤية سياسية تتخفى خلف الأشخاص والأحداث ، إن وافقتنى على هذا أسالك . . هل فطنت السينما فى الأفلام

التى أخذت عن رواياتك إلى هذه الخلفية السياسية أم أنها اعتمدت على الموضوعات الاجتماعية فيها ليس إلا ؟

– إن كتابتى لحوار هذه الأفلام جعلت المفاهيم المتخفية وراء العمل موجودة بحيث يصبح من الصعب بمكان ألاّ يتنبه الجمهور لها . . فإذا لم يتنبه فحسبه أنه رأى قصة أمدته بشىء من المتعة خلال فترة المشاهدة .

● أخذت السينما قصصاً من توفيق الحكيم ومحمود تيمور ويوسف السباعى ونجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس وعبد الحميد السحار وعبد الحليم عبد الله وأمين يوسف غراب وثروت أباظة وغيرهم من الكبار بجانب بعض أعمال الأدباء الشبان فهل استطاعت الرواية الأدبية أن تشكل قوة ضغط على السينما المصرية للارتفاع بمستواها ؟

– أعتقد أنها – وخاصة فى الفترة الأخيرة – قد شكلت فعلاً هذه القوة الضاغطة . ونجاح أغلب الأفلام التى أخذت من أعمال من ذكرت جعل الاعتماد على الأعمال الأدبية يضمن للمنتج نسبة مؤكدة من توقع النجاح .

● مسرحية عبد الرحمن الشرقاوى «ثأر الله» – «الحسين ثائراً والحسين شهيداً» مازال هناك اعتراض على ظهورها فوق المسرح . هل هناك سند شرعى تعتمد عليه وجهة النظر المعارضة لظهور الشخصيات الدينية على المسرح ؟ .

– السند الشرعى كما تعلمناه فى القانون أن يرد ذلك فى القرآن الكريم أو السنة الشريفة ، والذى لاشك فيه أن القرآن الكريم لم يمنع هذا . والذى أعرفه أن النبى عليه الصلاة والسلام كان يكرم الشعراء . وكان يفرش عباءته الطاهرة ليجلس عليها المجيد منهم . وكان يقول للخنساء حين تنشده شعراً «هيه يا خنساء» فإذا أخذ أساتذتنا المشايخ بالقياس وهو من مصادر التشريع فإن عليهم أن يكرموا الشعر . . وإكرامه يكون بإتاحة السبيل له أن يلتقى بالناس . . وإذا كان هذا الشعر ينظر إلى الدين ويعلى من

شأنه ويكرم الصحابة الأقربين من رسول الله فهو أولى بالوصول للناس . . وقد تجد الرواية الفنية من الرواج والانتشار وقد تملك من التأثير مالا تحققه ألوف الخطب والمواعظ .

السينما لا تحتمل الفشل مرتين :

● ما هى الضوابط المفروض أن نضعها أمام من يدخل ميدان الإنتاج السينمائى . . هل نسمح لكل من عنده الفلوس أن يدخل الميدان . . أم لابد من حماية المهنة من الدخلاء عليها ؟

– من أراد أن يدخل فليدخل . . وكل إنسان حر فيما لديه . . أما المتطفلون والدخلاء فسوف تكون التجربة خير مؤدب لهم . . وسوف يقلعون عند الفشل الأول لأن الخسارة فى السينما لا تحتمل الفشل مرتين . .

● ما موقفك من رأى ينادى بضرورة عودة القطاع العام إلى ميدان الإنتاج . . ومن رأى آخر ينادى بترك الإنتاج للقطاع الخاص وحده ؟

– سيأتى قريباً الوقت الذى يستطيع فيه القطاع الخاص أن يقف على قدميه بعد وهن طويل ، وحتى يأتى هذا الوقت فعلى الهيئة العامة للسينما ألاّ تبتعد عن مجال الإنتاج ولتقصر إنتاجها على الأعمال الضخمة التى يعجز القطاع الخاص عن القيام بها . . بحيث لا يتجاوز هذا فيلماً واحداً فى العام مثلاً .

● قلت لثروت أباظة فى النهاية :

هناك أفلام إسرائيلية تعرض فى عواصم الغرب تحاول من خلال قصص قد تبدو بعيدة عن السياسة المباشرة إيهام الرأى العام بأحقية الوجود الإسرائيلى فى أرض فلسطين ، ومن هنا يأتى دور الفن عندما يكون ذكيًّا . . لدينا قضية عادلة هى قضية

أرض الشعب الفلسطيني المغتصبة . . لماذا لا تقدم السينما عندنا على بلورتها للعالم ؟

– ينسى الكثيرون أنه ليس هناك شيء اسمه الفكر الإسرائيلي أو الثقافة الإسرائيلية . . إسرائيل فى نشأتها وبمكوناتها عبارة عن جميع الدول الغربية بثقافتها وتفكيرها وتراثها الحضارى . ولهذا فاللغة بين إسرائيل وبين هذه الأمم مشتركة الأمر الذى لا يتاح لنا . . وإن كان علينا بواسطة ما أحرزناه من تعاطف معنا وتفهم لموقفنا فى الفترة الأخيرة أن نحاول النفاذ بذكاء إلى قلب العالم حولنا لاكتساب المشاعر المتعاطفة مع قضيتنا . . وأتمنى أن تجد السينما سبيلاً إلى لغة مشتركة بيننا وبين العالم لتوصيل قضايانا لا من خلال الخطب والزعيق وإنما بواسطة موضوعات إنسانية تعتمد على الإيحاء والدلالة .

● تحقيقاً لهذا ما رأيك فى فكرة تكوين شركة إنتاج عربية ذات رأس مال ضخم تسهم فيه جميع الحكومات العربية لإنتاج أفلام عالمية تصنع لغة مشتركة بيننا وبين العالم لخدمة قضايانا الوطنية ؟

– تلك فكرة مستحبة ومطلوبة ولا أحد يرفضها . . ليتها تتكون هذه الشركة . . ولكن علينا أن نضع فى الاعتبار أن تعتمد على أفلام إنسانية من خلالها تنفذ بقضايانا . . وأن تكون الأفلام أيضاً تاريخية جذابة . وفى هذه الحالة فالنفع الذى يرجى منها مؤكد . . أما إذا اتجهت إلى الدعاية فلن يقبل جمهور العالم عليها . . لأن الجمهور لا يسعى إلى الدعاية وإنما هى تسعى إليه . . وجمهور السينما يستهدف بالذهاب إليها أن يتسلى لا أن يتعلم ، فإذا كنت ذكيًّا وفناناً ودسست له الفكر فى طوايا التسلية تكون قد بلغت منه ما تريد .

« مايو » ١٩٧٥

obeikandl.com

سعد مكاوى

لا يمكن للنقد المنحرف أو المغرض . . أن يوقف الفنان الحقيقى

منذ أواخر الأربعينيات ومسيرة الفنان الأديب «سعد مكاوى» تنطلق متواصلة فى درب حياتنا الأدبية . . فقد قدم لنا كثيراً من المجموعات القصصية التى أسهمت بدور بالغ الأهمية فى تأصيل فن القصة القصيرة عندنا . . كما أعطانا ثلاث روايات تعتبر من أهم إنجازات الرواية العربية الحديثة . . بجانب ترجماته المتعددة والمتباينة . . لروائع من الأدب العالمى . . وهو الآن يطرق عالم المسرح بمسرحية فرغ منها هى «الميت والحى» وأخرى يعكف على كتابتها باسم «المهدى المنتظر» .

وبرغم دوره البالغ الأهمية فى حياتنا الأدبية حتى أن كاتباً كبيراً من أعلام حركتنا الأدبية المتطورة وهو الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى لا يجد غضاضة فى الاعتراف بأنه تتلمذ على يد سعد مكاوى وأنه كان يكتب على نسقه فى بداية حياته الأدبية وأنه هو الذى قاد خطواته إلى تشيكوف وجوركى ودستويفسكى . . وبرغم هذا فإن النقد لم

يعط هذا الفنان حقه من الأهمية التى تعادل أهمية إنتاجه . . ولم يبدأ الاهتمام النقدى به إلاّ مؤخراً .

وقد التقيت بفناننا الكبير سعد مكاوى فى محاولة للاقتراب من عالمه ومعرفة رأيه فى مسائل تتعلق به وبجوانب من حياتنا الفنية .

● قلت للأديب الفنان سعد مكاوى .

سؤال يحيرنى منذ أمد طويل . لا أحد ينكر قيمة ما قدمه سعد مكاوى من عطاء يتسم بالمعمار الفنى المقتدر والإنسانية الدافقة والنفاذ داخل أغوار النفس البشرية بكل ما تنطوى عليه من معالم ومجاهل . ولقد كنت بحق – أقولها صادقاً مع نفسى وبضمير قارىء متابع يشارك فى الحياة الأدبية – كنت مذاقاً له خصوصيته المنفردة فى أدبنا . . فلماذا لم تأخذ أعمالك من الاهتمام النقدى ما يعادل تقدير المتلقى لها ؟

– سؤالك كان المفروض فيه أن يوجه للنقاد أصلاً . . ولكن كل ما فى الأمر أن الحركة الأدبية عندما وقعت تحت سيطرة اتجاهات نقدية انطلقت من موقع الشللية العنيفة وافتقدت الرحابة الواسعة فى نظرتها إلى خريطة الحياة الأدبية . . ووجدت هذه النظرة أن من مصلحتها توافقاً مع أهدافها أن تركز على أسماء بذاتها وأن تتجاهل غيرها . . بجانب عامل آخر صاحب عدم انتمائى إلى شلة معينة ، هو عدم انتمائى أيضاً إلى مدرسة فنية محددة . فقد لازمنى على الدوام اعتقاد بأن الفن صيرورة دائمة . وإمكانات متجددة من الخطر حبسها داخل أسوار تقنين مدرسة ما .

● هذا التجاهل من النقد . . ألم يضايقك . . أما شعرت من جرائه بمرارة ؟

– أغالط نفسى لو زعمت بأن هذا لم يضايقنى . . كل ما فى الأمر أننى تخلصت من هذا الإحساس ولم أدع له سيطرة على . . لم أضع فى اعتبارى غير أن أواصل مسيرتى . . فلا يمكن لأى حركة نقدية أو منحرفة أو مغرضة أو منغلقة أو متعصبة أن

توقف عملية الإبداع عند أى فنان حقيقى . . إن مسألة النقد لم تعد تهمنى إطلاقاً . . مهمتى هى فنى . . وما بعد ذلك فهو مسألة لا تخصنّى ! !

● ظاهرة ملحوظة . . ابتعادك عن تجمعات الحياة الأدبية وحتى عن منتدياتها . . أيرجع هذا إلى موقف من جانبك لما يحدث فيها من صراعات . . أو الأمر مجرد طبيعة خاصة فيك . . الانعزالية إن سمحت لى ؟

– بجانب طبيعتى الخاصة العازفة عن صخب التجمعات . هناك إيمانى بأن من الأفضل للكاتب أن يواقع الحياة نفسها ليستمد أصول إنتاجه الأدبى . هذا أفضل من أن يكون واسطة عقد منتدى أدبى أو فى تجمعات تقوم على ثرثرة غير مفيدة وصراعات غير مجدية لا للكاتب ولا للحركة الأدبية . . الأهم هو الحياة نفسها . . الناس . الواقع . . العصر . . بقضاياه وهمومه خلال المسيرة الإنسانية الباحثة عما هو أفضل وأجدى للحياة واستمرارها .

● لكل فنان رؤية معينة تقف خلف إنتاجه حتى وإن توارت خلف البناء الفنى المقتدر بدون أن تكون مباشرة بالضرورة . . بالنسبة لك ما هى الرؤية التى يمكن أن تكون مفتاحاً لأعمالك ؟

– باختصار . . وفى كلمة واحدة . . الإنسان هو موضوعى . . المسيرة البشرية هى الحقيقة الأولى والأخيرة التى تنبع منها رؤية كل فنان . . والأدب الحى فى أى عصر وفى كل أمة هو الأدب الذى ينفعل بالإنسان وبالحمية التى تصاحب البشرية وهى تبحث عن المستقبل الأفضل . . ومن هنا تنبع رؤيتى بدون الدخول فى تفاصيل تحديد قسمات لا أحب أن تطل النظرة إلى أعمالى من خلالها ! !

● لن أسألك تحديد معالم هذه الرؤية ، فالعمل الفنى هو إمكانياته الداخلية

الموحية . ولكن ما هى الأعمال التى تبلورت فيها هذه الرؤية فنيًّا أكثر من غيرها من أعمالك ؟

– لا أستطيع أن أفضل أى عمل من أعمالى عما تحدثت عنه فى الإجابة السابقة . ولكن ربما تكون رواية « السائرون نياماً » وكذلك « الرجل والطريق » قد تمكننا من تكثيف هذه الرؤية . بامكانيات فنية أكثر قدرة على توصيل رؤيتى .

● فى كتابتك تمجيد للإنسان وحنو عليه ، وحلم بإنسان أفضل . يحقق المعنى الحقيقى لكلمة إنسان . هل مازلت تؤمن بإمكانيات وجود هذا الإنسان برغم ما يبدو على عصرنا من نزوع إلى الشر والقسوة والأنانية . . حتى أن قسمات الإنسان بالمعنى البسيط توشك أن تتداعى تحت ضغط ظواهر العصر المادية كما تزعم نظرة متشائمة فى الغرب الأوربى ؟

– فى قلب عصرنا . . عصر التمزق والانسحاق . . والحيرة لا يزال إيمانى بغد إنسانى جميل غض بل إن الواقع المرير الذى يكابده الجنس البشرى فى عنق الزجاجة لم يؤثر فى إيمانى بأن إنسان العصر القادم سيكون أبهى وأعظم وأجمل من المسودات البشرية إن جاز هذا التعبير . . وإذا اعتبرنا القرن العشرين معمل تفريخ لطبقات جديدة راقية من الإنسان فإنى موقن تماماً بأن إنسان القرن الحادى والعشرين وما بعده سيكون على الصورة التى استشرفها ؟

● أعرف فرط شغفك بالموسيقى . . لدرجة أن العبارة عندك تأتينا مكثفة تحمل إيقاعاً موسيقيًّا فى تكوينها . ما هو تأثير الموسيقى فى أدبك ؟

– تعرفت إلى الموسيقى الرفيعة فى صدر شبابى عندما التحقت بعد الدراسة الثانوية بجامعة السربون فى باريس . . كانت نقلة رهيبة من ميوعة تأوهات الغناء الشرقى ومن المعانى الفجة فى الكلمة واللحن عندنا إلى الموسيقى الحقيقية النابعة من كيان الإنسان

ولغة الطبيعة وإيقاع الحياة . . وكان بتهوفن بالذات له تأثيره الفعال فى نفسيتى . . وفى إحساسى بجمال اللغة الموسيقية وفى تكوين رأى خاص عندى مؤداه أن الجملة الأدبية أيضاً يسعها إلى حد كبير أن تصنع موسيقيتها الخاصة . . وأن تزيدها الموسيقية قدرة على النفاذ إلى المتلقى وتدعيم العلاقة الحميمة بين الكاتب والقارئ ! !

● برغم عالمية اللغة الموسيقية . هل يمكننا أن نقول إن لنا موسيقى تحمل ملامح شخصيتنا العربية ؟

– لا يا صديقى . . أقولها بملء فمى ! !

● أغلب كتاب جيلك وجدت أعمالهم القصصية طريقها إلى السينما فلماذا قرعت السينما بابك متأخرة . . ليس غير شهيرة ؟

– منذ عشر سنوات تعاقدت معى هيئة السينما على إنتاج رواية «السائرون نياماً» وقبضت الثمن فعلاً . . ثم عدلت هيئة السينما عن الإنتاج الكبير اكتفاء بتمويل أفلام صغار المنتجين . . ونامت الرواية فى أدراج هيئة السينما مع غيرها . . ولا أمل فى إنتاج القصة إلا إذا عادت هيئة السينما إلى المنهج السليم للإنتاج . وهو أن تقوم الدولة فعلاً بإنتاج الأعمال الضخمة التى يحجم القطاع الخاص عن اقتحام ميدانها .

ولعل السبب فى أن السينما لم تقرع بابى كما تقول إن لى هنا طريقة لا تعجب المنتجين فى ، هى التدقيق فى الصورة التى يظهر بها الفيلم أكثر من حرصى على المبلغ الذى يدخل جيبى برغم حبى للنقود مثل كل الناس . . ولكن حبى للنقود لا يكون له الاعتبار الأول قبل القيم الفنية . ودعنى أذكرك أن لى قصة أنتجتها السينما منذ عشر سنوات وعرضت فيلماً هو (أبواب الليل) !

● «شهيرة» الفيلم المأخوذ عن قصتك – بعيداً عما أثير بشأنها قضائيًا عن طريق

الدعوى التى رفعتها السيدة فاطمة رشدى ضدك هل استقيت مادتها من نموذج حقيقى فى حياتنا الفنية ؟

– ما قصدته برواية شهيرة نابع فى الحقيقة من فترة فى شبابى عشقت فيها شارع عماد الدين الذى كان فى الثلاثينيات يموج بالنشاطات الفنية والمسرحية . . ومن هذا العالم خرجت شخصيات وأحداث «شهيرة» دون تعمد لتصوير شخصية معينة . كل ما فى الأمر هو الجو وهو التاريخ وعطر تلك الفترة العجيبة التى كانت فيها القاهرة تشغى بنشاطات متعددة ومتنوعة . . إن يكن المسرح أبرزها فقد كان حتى للكباريه طعم ومذاق ولا وجود لها الآن ! !

الكتابة للمسرح . . هل لك تجربة فيها ؟

– لم أكتب طيلة حياتى غير مسرحية واحدة هى (الميت والحى) والتى سيعرضها المسرح القومى هذا الشهر ويقوم بتمثيلها حمدى غيث وأمينة رزق وعبد الرحيم الزرقانى وعبد المنعم إبراهيم وسعيد خليل وغيرهم !

● ما الذى تريد أن تقوله فى هذه المسرحية . . ولماذا اخترت المسرح دون شكلك الروائى المعتاد ؟

– الذى فرض الشكل المسرحى فى موضوع (الميت والحى) هو مضمونها . . فعندما تبلورت الفكرة عندى اتضح لى عند اكتمالها أن الشكل المسرحى هو أنسب الأشكال لتوصيلها . . فقررت أن يكون العمل مسرحية لا رواية . . ويبدو أن المسألة كبرت فى دماغى فوجدتنى أعكف على كتابة مسرحية جديدة هى «المهدى المنتظر» أما عن الذى تريد أن تقوله مسرحية «الميت والحى» فإنها تناقش قضية بالغة الخطورة بالنسبة لعصرنا .

«العلم لمن . . هو لخدمة الإنسان وتطوير واقعه وإسعاده . . أو هو لاستغلاله ضد

سعادة الإنسان ومصالحه الكبرى . . تلك هى قضية هذه المسرحية . .

● مفهوم الالتزام عندك هل يختلف عن مفهوم الالتزام الذى دعا إليه النقاد فى الخمسينيات وبعض كتابها أيضا ؟

– التزامى كما هو وكما حدثتك عنه نابع من إيمانى الإنسانى . . أنا ملتزم بالقضية الإنسانية فى عمومها وشمولها . . وشعارى فى هذا أننى مع الحقيقة ضد الزيف . مع الحرية ضد الاستبداد . مع الشجاعة ضد الخوف . مع الإرادة ضد القهر . مع الجمال ضد القبح مع الحب ضد الكراهية . . التزامى فى كلمة واحدة هو مستقبل الإنسان وقدراته المتجددة التى لا يمكن لأى أيديولوجية معاصرة أن تحتويها ، فمن الذى يعطينا الحق فى أن نصادر المستقبل ونحجر على إمكاناته وما تنطوى عليه صيرورته من قابليات .

● قبل أن يبدأ الفنان تجربته مع الخلق تكون هناك بجانب الموهبة الخاصة مؤثرات كونته ودفعت خطواته نحو هذا الاتجاه . . ما هى هذه المؤثرات عندك . . ولمن تدين من الكتاب فى بلورة حسك الفنى ؟

– فى صباى عثرت فى مكتبة والدى بالريف على عالم سحرى عجيب يحوى أفكار التراث وأحداث التاريخ . . التهمت هذه المكتبة برغم أن بعضها كان أكبر من إدراكى ومنسوب ثقافتى فى تلك المرحلة . . ولهذه المكتبة أنا أدين بتحديد خطواتى فى الاتجاه إلى التعبير أدباً . . ثم انفتحت لى بسفرى إلى فرنسا فى سن مبكرة أبواب الأدب الفرنسى أساساً ثم الأدب الإنجليزى والألمانى المترجم إلى الفرنسية ، وتمازجت مكتسباتى الجديدة بثقافتى العربية فى تكوين شخصيتى الفنية بجانب هذا كان الكون الكبير العجيب يسهم فى تكوينى . . وحتى فى مطالعاتى لا أقصر اهتمامى على الجوانب الأدبية والفنية فحسب . . أنا أدمن أيضاً القراءة فى العلوم بشتى أنواعها . . خاصة ما

يتعلق بعالم النبات والحيوان . . لقد قرأت ثمانية كتب عن عالم الفراشات وحده . . هل تتصور . . هناك فى عالمنا ستة عشر ألفاً وخمسمائة نوع من الفراشات . . تتفاوت فى الأحجام والألوان والطبائع أما عن الذين أدين لهم من الكتاب . . فأنا لا أذكر أحدا بعينه ترك بصمات فىّ . . لقد قرأت كثيراً . . وتحولت القراءة إلى دم فى شرايين وجدانى ولكنى لا أستطيع تحديد فصائل هذا الدم لأردها إلى كتاب بعينهم ! !

● بعيداً عن موقعك الرسمى كمسئول عن المسرح الآن . . مسرحنا ما هو الآن وضعه ؟

– لعل ما يحدث فى المسرح الآن من محاولات ينبىء بمرحلة جديدة للمسرح المصرى تتوفر له فيها القدرة على أداء رسالته الحقيقية . . وأظن أن بدايات الموسم الحالى تبشر بذلك ! !

● طيب . . أنت من خلال تجربتك الرسمية كمشرف على قطاع المسرح . . ما الذى تراه كفيلا بدفع انطلاقة المسرح فى بلادنا نحو آفاق أرحب ؟

– فى اعتقادى أن مشروع البيوت المستقلة الذى يجتاز الآن آخر مراحله فى مجلس الوزراء . . والذى ينطوى على اتجاه استقلال كل بيت مسرحى فى شئونه الفنية والإدارية والمالية بعيداً عن تدخلات المركزية وتعقيداتها . . إن المركزية الآن تفسح المجال لاستقلالية كل بيت على حدة . . وأنا متفائل بهذا المشروع وأعتبره الخطوة السليمة فى الاتجاه الصحيح . . وأتوقع لهذا المشروع نتائج محمودة تدفع الحركة المسرحية فى بلادنا نحو ما ينبغى أن يكون عليه المسرح .

يناير سنة ١٩٧٦ .

دكتور/ محمد الظواهرى

العلم يؤكد بإن عصر الإيمان المطلق قادم ! !

الدكتور محمد الظواهرى أستاذ طب الأمراض الجلدية بجامعة القاهرة خرجت شهرته العلمية للعالم شرقاً وغرباً ، فأبحاثه ومؤلفاته فى الأمراض الجلدية تدرس فى كثير من جامعات القارات الخمس . . إن إضافته العلمية وأبحاثه الطبية المتعددة واكتشافاته المتواصلة تشكل أوسمة فخر لمصر ، وهى فى نفس الوقت تأكيد للعبقرية العربية التى غابت طويلاً عن التأثير فى مسيرة الحضارة الإنسانية والعلوم .

● قلت للدكتور الظواهرى :

ظاهرة التزاحم على عيادات مشاهير الأطباء . . كيف يمكن أن نجد حلولاً لما يترتب عليها من حرمان حالات مرضية عاجلة من كفاية هؤلاء الأطباء بالسرعة الناجزة ؟

– ظاهرة التزاحم لها دوافعها . فالمورد العذب كثير الزحام . ثم إن رضاء الخلق من

obeikandl.com

رضاء الخالق . إن سبب هذا التزاحم مرجعه أن هؤلاء الأطباء يؤدون عملهم بأمانة وإخلاص ، واتقى كل منهم ربه بمخافة وإيمان فاطمأن الناس إليهم . . والحل لهذا التزاحم هو أنني أدعو كل من آتاه الله الحكمة ومكنه من خدمة المرضى أن يضاعف مجهوده ولا يتوانى عن رعاية مرضاه الذين هرعوا إليه دون غيره وأن يلقاهم بالصدر الرحب والابتسامة الحانية التي تبعث فيهم الأمل . ما دام الله قد أعطاه الصحة وقدرة الاحتمال .

● هناك حالات لا تشكل خطورة ، ويكفي لعلاجها أي طبيب متخصص ، ولكن لأن أصحابها من ذوي الدخول القادرة يبادرون إلى المشاهير . بما ينتهب وقتهم . لماذا لا تضم عيادات هؤلاء بعض الأطباء المساعدين للكشف المبدئي ؟

– لعلك لا تنكر أن العامل النفسي يساعد كثيراً في سرعة الشفاء . وثقة المريض في طبيب معين لها تأثيرها في تنشيط هذا العامل . وأحب أن أقول بأن هناك أمراضاً تبدو بسيطة . ولكنها كثيراً ما تكون علامات لمرض خطير أو خبيث . وأضرب بعض الأمثلة في ذلك الأمراض الجلدية . فالإرتيكاريا مثلاً هي عرض لحالات كثيرة ومتعددة ، قد تكون تافهة مثل تناول بعض الأطعمة . وربما تكون إشارة إلى أمراض داخلية هامة ، وقد يكون من بينها بعض الأمراض الخبيثة . . وخذ أيضاً الحكة الجلدية ، إنها هي الأخرى ترجع إلى مسببات منها البسيط مثل جفاف الجلد وتقدم السن . ومنها الخطير مثل مرض البول السكري وأمراض الكلى والكبد والمرارة واليرقان وأمراض الدم . . إلخ . .

وهناك الكثير من الأمراض الجلدية التي قد تخفي وراءها الأورام السرطانية الكامنة بالجسم داخلياً . . وكل هذا يمكن للطبيب الخبير المختص أن يكتشفها مبكراً يعالجها قبل استفحال الخطر .

أما أن تضم عيادات كبار الأطباء بعض المساعدين فهذا مالا أوافق عليه . . فالمريض قد جاء خصيصاً وتكبد مشقة الانتقال من بلدته وربما من دولة أخرى وهو يقصد طبيباً معيناً فإذا فرض عليه طبيب آخر فإن هذا يؤلم نفسه . . وكما قلت فإن الحالة النفسية للمريض والثقة فى طبيبه لها الأثر الكبير فى سرعة الشفاء . وإيماناً منى بهذا فإننى عندما أسافر لحضور الاجتماعات العلمية والمؤتمرات الطبية أغلق عيادتى ولا أنيب أحداً عنى . . حتى لا أفرض على المريض طبيباً من قبلى . . وأترك له الحرية فى اختيار الطبيب الذى يريده . . وأحب أن أنوه بالنسبة لى بأن غالبية المرضى الذين يتوجهون لعيادتى يفدون إليها من قبل أطباء آخرين من أماكن بعضها بعيد المسافة والبعض منهم من خارج مصر . . وذلك للمشاركة فى الرأى . وخاصة بعض الحالات الهامة .

● إن من حق الطبيب البارع الناجح أن ينال جزاء كفايته . . ولكن هناك الفقراء أصحاب الحالات البالغة الخطورة . وهم لا يملكون الاقتدار المادى . أليس من حقهم الاستفادة بكفاءة الكبار؟ !

– لا أحد ينكر أن إخواننا الفقراء من المرضى لهم حق واجب علينا . . وأعتقد أنه لا يمكن أن يوجد طبيب يقدر شرف مهنته يرفض علاج مريض لفقره . . إنه يقوم بفحصه فى عيادته الخاصة إن سمحت ظروف الوقت . أو فى المستشفى الذى يعمل به . وجميع من يقوم بفحصهم الطبيب فى المستشفيات العامة والجامعية ، فهذا يتم كما يعرف الجميع – بدون مقابل . . وأنا أقوم بهذا العمل الإنسانى منذ عام ١٩٤٢ وحتى الآن بعيادة الأمراض الجلدية بقصر العينى بقسم الجلد دون انقطاع . أفعل هذا بمنتهى الرضا والسعادة النفسية البالغة . . إن الساعات الطويلة التى أنفقها فى هذا العمل على مدى أيام الأسبوع هى أهم مصادر السعادة لنفسى . . فهؤلاء الفقراء ضيوفنا وضيوف الله عز وجل .

● لك مدرسة فى الأمراض الجلدية معترف بها عالمياً . . ما هى خصائص تلك المدرسة ؟ !

– من توفيق الله . ومما يشرفنى أن مدرستى فى الأمراض الجلدية تضم غالبية الزملاء من أخصائيى الأمراض الجلدية فى مصر والبلاد العربية . . بل هناك فى دول أخرى من ينتمون إلى هذه المدرسة من الذين تشرفت بلقائهم والعمل معهم على مدى ثلث قرن فى رحاب العلم . وهم الآن يبلغون العشرات بل قل المئات بلا مبالغة . . . وهم أخصائيون يشار إليهم بالبنان . . والكثيرون منهم درسوا الكتب التى وضعتها لطلاب الدراسات العليا وكلية الطب . وكذلك أبحاثى التى نشرتها وهى بجانب كتبى الخمسة تربو على المائة والعشرين بحثاً . وأكثر ما أعتز به عشرة بحوث كاملة ألقيت ونشرت فى مؤتمر الأمراض الجلدية العالمى الذى عقد مؤخراً . . وهى تمثل أكبر عدد من البحوث تنشر لعالم واحد فى مؤتمر واحد . . وكلها بحوث جديدة تضمنت إضافات علمية هامة . . وقد ترجمتها فى كتيب صغير الحجم فرح به كل أستاذ أرسلته إليه فى مصر وخارجها . . إننى دائم التوجيه لطلابى بأن دراسة الأمراض الجلدية لا يمكن أن تكون نظرية بحتة . بل لابد من مواجهة المرض على الطبيعة وفحص خصائصه قبل تلقى نظرياته . . إن المحاضرة فى أمراض الجلد يتحتم أن تكون أكلينيكية قبل كل شىء . . ولهذا لابد من متابعة حالات الأمراض الجلدية وخاصة الصعبة التشخيص والعلاج . . هذه المتابعة والمثابرة والتروى تؤدى إلى أفضل النتائج ، إن التشخيص المتسرع للمرض دون روية يكون مجلبة للحسرة والضرر .

مدرستى أيضاً تؤكد بأن العلم ليس له حدود ، وآفة العلم أن نكتفى بما حصلنا عليه بغير أن نواصل الاطلاع والبحث . . نحن طلاب دائماً مهما كبرت مراكزنا . . أو تقدمت بنا الأعمار !

● هل تختلف الأمراض الجلدية فى المناطق الحارة عنها فى المناطق الباردة ؟ !

– بالطبع هناك أمراض جلدية كثيرة خاصة بالمناطق الحارة . . وأيضاً هناك أمراض جلدية كثيرة خاصة بالمناطق الباردة . والمشترك بينهما كثير جدًّا أيضاً . . إن فى بلادنا العربية ثلاثة أنواع من الأمراض الجلدية .

الأول : تنفرد به بلادنا العربية مثل بلهارسيا الجلد . والقرحة الشرقية «حبة بغداد ودمل حلب» ودودة المدينة وداء الفيل العربى . وكثير غير ذلك .

الثانى : أمراض جلدية توجد فى شتى أنحاء العالم ولكنها فى بلادنا العربية تظهر وبها بعض الاختلافات قلت أوكثرت مثل الاختلاف فى الصورة الإكلنيكية أو فى التوزيع على سطح الجلد . وقد أشرت فى كثير من أبحاثى إلى هذه الفروق التى تعتبر هامة سواء فى التشخيص أو العلاج ، وأضرب لك بعض الأمثلة : مرض الجذام منتشر إلى حد كبير بيننا ويقال فى بعض المراجع إن ظهوره أولاً فى وادى النيل وخاصة منطقة «دارفور» ثم صعد إلى شمال أفريقيا مع مجرى النيل وانتقل إلى آسيا عبر البحر الأحمر . ثم إلى الهند والصين واليابان شمالاً . . ثم إلى آسيا الصغرى فأوربا ، ولكنه حوصر ، ويكاد يكون قد استؤصل فى أوربا . ولكنه لبث فى الهند وبعض البلاد العربية بصورة مستوطنة . . ولقد أثبت وجود الجذام فى أطفالنا بخلاف السائد فى العالم . . وكذلك أميبيا الجلد . والصدفية والبهاق على الأماكن المكشوفة . . وكثيراً ما يذكر أن الصدفية تكثر فى الأماكن المغطاة . ولكنى أثبت وجودها على الأماكن المكشوفة ، وكذلك أثبت وجودها بالأغشية المخاطية واللسان ، وفى هذه الناحية فإن الأبحاث التى قدمتها تعتبر هى الأولى من نوعها تكاملاً . . فقد كان من المفروض أن الصدفية لا تصيب الأغشية المخاطية أو اللسان . . أما مرض البلاجرا فقد أظهرت خصائصه المميزة وصفته التشريحية الخاصة به .

الثالث : أمراض جلدية سائدة فى البلاد العربية مثلها تماماً مثل بقية بلدان العالم ومناخاته وهذه تمثل الغالبية العظمى من أمراض الجلد .

● هل هناك أمراض جلدية تنتج من الوراثة وحدها . . وأخرى من طبيعة البيئة وحدها وظواهرها المناخية وفى حالة أمراض الوراثة هل تنتقل بالعدوى . . وما هى الوقاية فى كل الأحوال ؟

– نعم هناك أمراض جلدية كثيرة تنتقل بالوراثة . ولا دخل للعدوى فى انتقالها . وهذه الأمراض كثيراً ما تظهر ، وقد لوحظت الإصابة فى ستة أجيال متعاقبة من عائلة واحدة وأيضاً مرض جفاف البشرة الملون كثيراً ما يلاحظ عند تزاوج الأقارب . .

وتلعب الوراثة دوراً هامًّا فيما يسمى بالوحمات وما يقال له «الحسنات» وكذلك تحليل البشرة الفقاعى . . وأيضاً تضخم البشرة براحة اليد وبطن القدم . . والجلد المطاط ، وهناك أمراض تنتج من البيئة وظواهرها المناخية . . وهى كثيرة جدًّا . . وكثيراً ما يتحدث الأطباء فى المؤتمرات الدولية عن التوزيع الجغرافى للأمراض . . مثل مؤتمر طب المناطق الحارة الدولية الذى عقد فى كيوتو باليابان واشتركت فيه ، وكان من أهم المواضيع التى ناقشها المؤتمر . . أن الشمس الوفيرة والتعرض للشمس من أهم المسببات لكثير من أمراض الجلد فى المناطق الحارة . . والبلدان العربية بالذات . وفى تجنبها منجاة من كثير من أمراض الجلد .

● ما هو السر فى أن الرجال وحدهم هم الذين يصابون بالصلع دون النساء ؟

– الصلع يصيب الرجال بصفة كاملة . . أما النساء فقد نلاحظ قلة الشعر بصفة واضحة ولكنا لا نجد صلعاً كاملاً . . وهذا يرجع إلى تأثير هرمونات الجنس . . فمن المعترف به علميًّا أن إفراز هرمون الذكور يزيد من نشاط الغدد الدهنية ويدعو لظهور حب الشباب وتساقط الشعر كاملاً عند الذكور فى المنطقة الأمامية من الرأس وقمتها . .

أما الإناث فإن هرمون الجنس عند الأنثى «ايسترجين» من شأنه أن يضاد ذلك التأثير على الشعر وحب الشباب والغدد الدهنية . ويمكن الاستفادة من ذلك علميًّا بإعطاء هذا النوع من المرض . . وخاصة المصابين بحب الشباب عند الجنسين هرمون الأنثى «الايستروجين» مع الملاحظة الدقيقة لتأثير ذلك الهرمون على الذكور . خوفاً من ظهور مضاعفات علاجية ! ! !

● هل يمكن أن تقدم لنا نباتات البيئة وأعشابها ما يصلح كدواء لبعض الأمراض الجلدية عندنا . وما هى القيمة العلمية لنبات الصبار الذى اكتشفتم فائدته لبعض الأمراض الجلدية ؟

– قدمت لنا نباتات البيئة وأعشابها أدوية لكثير من الأمراض العامة والأمراض الجلدية بصفة خاصة ، ولقد قمت بإظهار ما لنبات الصبار من فوائد علاجية . وقد تمت الأبحاث العلمية الخاصة بذلك بنجاح كبير ، وأمكن استخلاص عصارات المواد الفعالة فى شكل أدوية حديثة قدمتها مصر للعالم . . لقد قمت بإضافة مادة (البائنتينول) إلى مادة الصبار . وبذلك اكتشفت علاجاً جديداً وفعالاً يسمى (الوبانتين) وهو فى اعتقادى أفضل ما يمكن تقديمه لعلاج أمراض فروة الرأس وقشورها وتساقط الشعر بطريقة علمية سليمة ليس لها أى مضاعفات ، وهذا أقل ما يمكن تقديمه لهذا الوطن الحبيب الذى رعانا وأنبتنا نباتاً حسناً .

والمناسبة أحب أن أقول إنه بمراجعتى للتراث القديم وجدت أن شجر الجميز «فيكس سيكامورس» وهو شجر مصرى قديم كان مقدساً عند قدماء المصريين . ولقد وجدت سلال من فاكهته بجوار جثث الموتى . كانوا يصنعون توابيتهم من أخشابه ويعالجون بعصارته بعض الأمراض الجلدية الباطنية . وكذلك الحروق والجروح الجلدية .

وعندما كنت صغيراً كان أهلى فى قريتى يعالجون بعصير الجميز بعض أمراض الجلد بنجاح ، ومن هنا بدأت البحث فى هذا المضمار وانتهيت إلى نتائج هامة فى شفاء بعض الأمراض الجلدية مثل «العطشة» و «القوباء» وأنواع من التهابات الجلد . كما تأكد لى تأثيره فى علاج مرض التهاب بصيلات الشعر بذقون الرجال وتخفيف حدة مرض الصدفية . وأكزيما الأطفال . . وهناك ما يبشر باستعمالات أخرى كثيرة لهذا الدواء . . وقد ألقيت بحثاً عن ذلك فى مؤتمر النباتات الطبية الأفريقية وكذلك مؤتمر الصيدلة اللذين عقدا فى العام الماضى . . والأبحاث مازالت جارية لزيادة الفائدة من هذا النبات .

● هناك دعوات تنطلق . . ومؤتمرات تعقد من أجل تعريب العلوم فى جامعاتنا العربية . . أين تقف من هذه القضية ؟

– بكل مشاعرى ، وكما أتمنى لأمتنا العربية أن تبلغ المكانة اللائقة بها فى هذا العصر . أتمنى كذلك للغتنا العربية ، لغة الضاد ، كل أمجاد وانتشار ، فهى لغة القرآن الكريم ، ذلك الدستور السماوى الأعظم الذى نزل هدى ورحمة للعالمين . ولكن هذا الوقت الذى تكون فيه مكتبتنا العربية الطبية قد لحقت بركب الحضارة والتقدم العالمى الحديث لم يجىء بعد أما قبل هذا افلا بد من الإبقاء على تدريس الطب باللغة الإنجليزية ليمكننا أن نأخذ من المصادر العالمية أفضل ما عندها . . وحتى يقرأ لنا الأجانب أبحاثنا وكتبنا لأنهم بذلك يفهمون ويعترفون بنا . . وأعتقد أن فى تبليغ رسالتنا العلمية إلى هذه المجالات كل الخير لوطننا وأمتنا العربية المجيدة . . ولولا أننا نخاطبهم بلغتهم لما شاركناهم أوشاركونا فى ندواتهم وندواتنا ومؤتمراتهم ومؤتمراتنا . وحلقات التعليم والعلم التى تعقد فى كل مكان .

وليس معنى هذا أن يظل الوضع هكذا إلى الأبد . ولكن عندما يصبح علماؤنا فى

شتى فروع العلم والطب قادرين على أن تكون لهم المكتبة العربية الكاملة . مع ترجمة ملخصات باللغة الأجنبية لمؤلفاتهم وأبحاثهم . فى هذا الوقت ستجدنى من غلاة الداعين إلى تعريب العلوم . . وهذا أمل لكل عربى مخلص لوطنه ولكن الحقيقة أن الوقت لم يحن بعد ! !

● أصبحنا عالة على الإنسانية نأخذ من العلم نتائجه الجاهزة بدون أن نضيف إلى منسوبه شيئاً . . الآن هل تعتقد أننا وصلنا إلى مرحلة الإسهام ؟ !

– الواقع أن العرب أسهموا بدور بالغ الأهمية فى أصول الحضارة والعلم . كما لا أحب الإطالة فى الحديث عن الحضارة المصرية القديمة منذ آلاف السنين والتخلف الذى أصاب أمتنا نتيجة عوامل كثيرة أهمها الاحتلال المتعاقب مما أدى إلى تخلفنا فى الماضى . . ولكنى أرى الآن أن الصبح قد لاح فجره « وأن أمتنا العربية أخذت تصحو من رقادها وأن الجهود الفردية التى يقوم بها علماؤنا فى الداخل وفى الخارج سوف تصبح بإذن الله جهوداً مكثفة تشيع مناخاً علمياً كاملاً ، ولقد بدأ العالم يقدم التقدير لجهودنا العلمية ، وأنا أذكر بعض جوانب هذا التقدير من خلال مشاركتى فى بعض المؤتمرات العلمية الدولية .

فعندما كنت أحضر اجتماع الأكاديمية الأمريكية المنعقد فى ميامى بيتش والذى قدمت فيه بحثى عن الحزاز الاستوائى وقف رئيس الاجتماع الدكتور ويتر ليقول : (أقدم لكم أستاذا مصريًا أعرفه وأعرف وطنه ومدرسته ووزنه فى وطنه وقد حضر إلينا ليعرفنا بشىء جديد) وهنا وقف الأعضاء جميعا يصفقون ، ولم يكن التصفيق لشخصى بل لوطنى العملاق . وكنت مجرد سفير علمى له ليس إلا . . وفى اجتماع آخر فى الأكاديمية الأمريكية بواشنجتون خلال شهر رمضان ، وكنت صائماً ، كنت أقف فى معرضى الطبى العلمى الذى أقمته ضمن معارض الأكاديمية فى الـ « بالمرهاوس » وكان موضوع

المعرض ولوحاته عن الالتهابات الجلدية السائدة فى الشرق الأوسط ، وبينما كنت أقوم بشرح اللوحات وتوزيع النشرات على رواد معرضى لاحظ أحد الأساتذة الأمريكان فيشر «مدى الإعياء الذى لحق بى لأننى لم أكن قد أفطرت برغم حلول موعد الإفطار. نظراً لازدحام المعرض بالزوار ، والمجهود الذى بذلته طوال اليوم فى قاعات المحاضرات والمناقشات العلمية . . فاقترب الأستاذ منى يقول لى بالحرف الواحد «لماذا تفعل كل هذا ؟ قلت من أجل العلم ووطنى» فرد على بقوله : «أنت خير سفير لأمتك» . . وقد أرسل هذا الأستاذ بدون علمى خطاباً بهذا لوزارة التعليم العالى عندنا . . ولم أعرف خبره إلا بعد أن حولته الوزارة إلىّ . . كان ذلك منذ حوالى ثمانية أعوام .

وأذكر بالفخر زيارتى لأستراليا فى أبريل سنة ١٩٦٧ لحضور افتتاح كلية الدراسات العليا لأمراض الجلد فى سيدنى . فقد ألقيت محاضرات الافتتاح . وكنت أحد سبعة علماء يمثلون العالم . وكنت أول طبيب عربى يحاضر فى إستراليا . . وخصنى رئيس الاجتماع بالتكريم وهو يقدمنى بقوله إن من أول تعاليم أمراض الجلد هى التعاليم المصرية . وأن «هبر» صاحب التعاليم المصرية هو أول رواد أمراض الجلد القدامى فى العالم .

ولقد زرت الهند مرات عديدة وألقيت أبحاثى فى كلكتا ونيودلهى وبمباى . . وأعلنت فى النرويج عن وجود الجذام . . واقتنت السويد مجموعة كتبى لمكتبة كلية الطب بها . . وآخر تكريم نال العلم العربى فى شخصى هو انتخابى عضواً فى إدارة جمعية الأمراض الجلدية الدولية فى اجتماعها الأخير بمناسبة المؤتمر الدولى الذى عقد فى سان باولو بالبرازيل والذى أسهمت فيه بأبحاثى ، وعقدت لى رئاسة واحدة من جلساته . . ومن هناك ذهبت إلى الأرجنتين حيث ألقيت فى مؤتمر الجذام الدولى هناك بحثاً علمياً اعتبرته هيئة المؤتمر جديراً بتعيينى عضواً ممثلاً لها ومراسلاً للشرق الأوسط ،

وأرسلت إلى براءة ذلك فى صورة شهادة تقدير أعتز بها بجانب الشهادات الدولية الأخرى . . ففى عام ١٩٧٥ وصلتنى ثلاث براءات شرفية بهذا المعنى من البرازيل والأرجنتين وبولندا . .

ما أردت بهذا أن أتحدث إليك عن شخصى ، وإنما استهدفت أن أضرب لك مثلاً عن مدى المكانة التى وصل إليها العلم العربى وأنه أصبح يملك العطاء والإضافة . . وأنه لم يعد عالة على غيره ، بل أصبح له إسهامه المعترف به عالميًّا . وقد استشهدت فى هذا الصدد بالمجال الذى يخصنى .

● لقد تذرع الإلحاد طويلاً بمنطق العلم فى محاولته لهدم أسس الإيمان . . هل جاء الوقت الذى أصبحت فيه إمكانيات العلم تدحض مسوغات الإلحاد ؟

– سؤالك هذا هز مشاعرى . . إنى أعتبره إبداعاً ليس فى اللغة فحسب بل فى المعنى أيضاً ، نعم يا سيدى جاء الوقت ، وسيجىء بشكل أوضح ، ذلك الوقت الذى تدحض فيه دولة العلم والإيمان دولة الجهل والإلحاد . وسيقوم ذلك أساساً على اكتشافات أبناء الأمة العربية . وبواسطتهم سيبين العلم أن الله هو الحقيقة الكبرى وأن كل الحقائق إليه مرجعها وأن الرجوع إليه هو الخلاص من كل ما يعانيه عالمنا من شر . . إن حقائق العلم المعاصرة تثبت فى كل جزئية من جزئياتها أن الأكوان من صنع إله عظيم قديم . . لقد أظهر العلم وسوف يظهر أن كل ما جاء فى التعاليم الدينية والإنسانية هو لخير البشرية ، إن العلم الحديث يفسّر لنا الآن غوامض ما كان خافياً . . وعصر الإيمان المطلق قادم ولن تعود للإلحاد أى ذريعة .

إن شعار دولة العلم والإيمان الذى أطلقه رئيسنا المؤمن محمد أنور السادات لم يأت عفويًّا ، فهو فى الحقيقة تعبير عن وعى شامل نفذ إلى الحقيقة .

يناير سنة ١٩٧٦ .

أحمد كامل مرسى

الفن الذى لا يدافع عن كرامة الإنسان . . لا يكُون فنًّا !

المخرج المصرى أحمد كامل مرسى واحد من الرواد الذين تدين لهم قافلة السينما المصرية بمحطات هامة فى فيافى طريق طويل . . على مداه تناثرت قطرات عرقهم وكفاحهم ومعاناة جهودهم وخبراتهم . . هو واحد من الذين عشقوا هذا الفن وأعطوه أعمارهم ونبضات قلوبهم وعبدوا الطريق ورصفوه لمسيرة ينتظرها الكثير لتنجزه .

إنه أحد أعلام جيل رائد انطلق بسفينة السينما المصرية وجدف لها بإيمان ومثابرة وهى تخوض عباب تجربة جديدة وسط عواطف وعرة . . لقد استطاع هذا الفنان مع جيله أن يبلغ بالسينما مرحلة ، لو واصلها من جاء بعد هذا الجيل بنفس الجدية والإيمان بالرسالة ، لكانت السينما المصرية قد حققت مالا يمكن تقدير مداه ومنسوبه .

وإيمانا بدور هذا الفنان الشيخ المترهب . وفكره المتجدد ذهبت إليه أحمل تساؤلات حول قضايا سينمائية أطمح فى أن تقدم لنا إجابته عليها أضواء تنير معالم

obeikandl.com

الطريق من أجل مستقبل أفضل للسينما المصرية .

قلت لشيخ المخرجين أحمد كامل مرسى :

● السينما التسجيلية هل وصلت فى رأيك إلى لغة فنية ، تمكنها من اكتساب قاعدة عريضة من الجماهير المشاهدة ، سواء فى العالم المتطور أو فى العالم النامى مثل الفيلم الروائى ؟

– نعم بطبيعة الحال – ولا عجب – فالسينما العالمية بدأت تسجيلية ، منذ نشأتها الأولى عام ١٨٩٥ ، ثم أخذت تنمو وتتطور على مر السنين ، وكان من أهم مظاهر نموها وتطورها ، ظهور الفيلم الروائى بكل نوعياته المتعددة والمختلفة ، فى العقدين الأول والثانى من هذا القرن . . وحتى بعد أن ظهر الصوت واللون فى الأفلام السينمائية ، وذلك فى نهاية العشرينات وبداية الثلاثينات فإن السينما التسجيلية كانت موجودة ، بل كانت ومازالت تخطو خطوات ثابتة ومتطورة ، واستطاعت أن تقف بثبات ونجاح ، جنباً إلى جنب مع السينما الروائية . وأننا لا نغالى فى القول ، إذا اعترفنا بأن اللغة السينمائية المتطورة فى السينما التسجيلية ، كانت حافزاً قويًّا لتطوير السينما الروائية . فى كل أرجاء المعمورة . وقد بلغ من اهتمام الجماهير بهذه النوعية من الأفلام فى البلاد المتحضرة أن تأسست دور عرض خاصة تقتصر عروضها على الأفلام التسجيلية والأفلام القصيرة ، بكافة نوعياتها المختلفة والمتعددة .

● مسيرتك مع السينما من أين بدأت ؟ وإلى أين وصلت ؟ وهل لديك أفكار أو مشروعات بالنسبة للمستقبل ؟

– بدأت علاقتى بالسينما ، كناقد فنى فى دار «روز اليوسف» منذ أوائل الثلاثينات . وفى عام ١٩٣٨ قدمت أول فيلم أجنبى ناطق بالعربية ، وهو فيلم «مستر ديدز يذهب إلى المدينة» وهو فيلم أمريكى من إخراج فرانك كابرا . ثم عقبت عليه

بتعريب ودبلجة ، أى إنطاق الكثير من الأفلام الأجنبية سواء أكانت أمريكية أم إنجليزية أم فرنسية أم سوفيتية . . وكان آخر عمل فيلم «مصير إنسان» وهو فيلم سوفيتى من إخراج سيرجى بوندراتشوك . وفى هذه الفترة ساعدت فى إخراج أكثر من فيلم مصرى ، مع زميلى القديم نيازى مصطفى والأستاذين يوسف وهبى وتوجو مزراحى . ثم بدأت حياتى كمخرج بفيلم «العودة إلى الريف» فى نهاية عام ١٩٣٩ ، وتوقفت بعد فيلم «الميعاد» عام ١٩٥٤ ، وفى خلال هذه الفترة ، التى لا تعدو خمسة عشر عاماً ، أخرجت خمسة عشر فيلماً .

وفى العشرين السنة الأخيرة ، لم أقدم غير عدد قليل ومحدود للغاية من الأفلام الثقافية والفنية ، اعترافاً منى بقيمة وأهمية السينما التسجيلية وإحساسى بحاجتنا الملحة لمثل هذه النوعية من الأفلام فى حياتنا الجديدة . وأذكر من هذه الأفلام فيلم «القاهرة» لحساب التليفزيون عام ١٩٦١ ، وفيلم (تاريخ السينما المصرية) لحساب المؤسسة والوكالة العربية للسينما عام ١٩٧٠ ، كما راجعت بعض الكتب المترجمة ، والمتخصصة فى الفن السينمائى ، وأعتقد أن من أهمها كتاب «فن الفيلم» وكتاب (السينما التسجيلية) ترجمة صلاح التهامى ، وكتاب «التوليف السينمائى» ترجمة أحمد الحضرى .

أما من حيث الأفكار والمشروعات للمستقبل ، فهى كثيرة ومتعددة ، ولكن لا أمل فى عرضها أو مناقشتها . فكم من لجان تكونت وأوصت بعدة توصيات ، وقدمت عدة أفكار ودراسات ، ولكن للأسف الشديد ، لم يتحقق منها شىء . وهذه هى نكبة اللجان فى الشرق العربى ، كلام كثير جدًّا ، وجدل ونقاش طويلان بلا نهاية ، ومشروعات واقتراحات عديدة . . وعند التنفيذ أو التطبيق ، لا تجد شيئاً مطلقاً ، وإن وجدت شيئاً ، وجدته منقوصاً أو مشوهاً أو مخالفاً تماماً لما كانت الآمال معقودة عليه . . ولهذا ضقت ذرعاً بالاجتماعات والأقوال واللجان ، طوال هذه العشرين السنة

الأخيرة . . وإنى لأرجو من الأعماق أن تكون السنوات المقبلة ، أكثر خيراً ونفعاً وإيجابية ، من تلك السنوات المريرة ، وإنما هى همسة عتاب ، أتوجه بها إلى السينمائيين والنقاد على حد سواء ، إخوانى وأصدقائى ، اجمعوا صفوفكم ، وطهروا قلوبكم ، وحكموا عقولكم وارعوا الحق والأمانة ، فيما تقدمون وفيما تنقدون من أفلام . حاولوا أن تجمعوا بين التقييم والتقويم ، بين الترفيه والتثقيف ، لكن دون عنف أو تجريح أو إهانة ، دون إسفاف أو هبوط أو تجارة ، دون انتهازية أو عصبية وانفعالية . . وثقوا أن الله مع الصادقين ، إذا صدقوا . .

● يقال إن السينما بدأت بداية طيبة ، لماذا فى اعتقادك لم تستطع أن تطور نفسها ، هذا إذا كنت توافق على وجهة نظر تدعى أنها مختلفة ؟

– السينما المصرية مظلومة ، مظلومة ممن مدحوها على طول الخط ، ومظلومة ممن هاجموها على طول الخط . السينما المصرية ظلموها وتنكروا لها ، تجنوا عليها بالحق والباطل ، سواء فى الماضى أو الحاضر . . أو من السنمائيين الطامعين فى مكاسبها وأرباحها ، المشروعة وغير المشروعة . . أو من النقاد الناقدين لها والساخطين عليها ، المنكرين لوجودها إن حقًّا أو ادعاء أو غروراً .

الواقع أن السينما المصرية ، بدأت فعلاً بداية طيبة ، بداية بسيطة ومتواضعة ومخلصة ، يغمر الحب والوفاء والطموح والمنافسة الشريفة ، نفوس العاملين فى مجالها ، يفرحون لنجاح أى فيلم من الأفلام ، بقدر ما يحزنون لفشل أى فيلم آخر ، دون النظر إلى منتجه أو مخرجه أو ممثليه ، كان الاجتهاد مبدأهم ، وكان التقدم غايتهم . يكتفون بالأرباح القليلة أو المعقولة ، ولا يطمعون فى الأرباح الضخمة الفاحشة التى تطيش بالنفوس والعقول ، وتدفعهم إلى المزيد ومزيد المزيد من الأرباح التى تجعلهم يقيمون العمائر الشاهقة ، ويشترون السيارات الفارهة .

كان مفهوم السينما لدى السينمائيين فى بلادنا ، فى ذلك الحين ، أنها رسالة وفن ، أو بمعنى أدق يغلب عليها طابع الرسالة والفن . ولا عجب فقد مرت السينما العالمية طوال حياتها التى بلغت الثمانين من عمرها هذا العام ، فى صراع عنيف حاد بين تيارين أو اتجاهين ، الأول يؤمن بأنها فن ورسالة والثانى يؤمن بأنها صناعة وتجارة ، وكثيراً ما يلتقى التياران ، ويتم التوازن بين الاتجاهين ، وفى بعض الأحيان الأخرى يطغى تيار من التيارين على الآخر ، وعندئذ تطرأ عليها حالات متوالية من التقدم والازدهار أو الهبوط والانهيار . . ولكن سرعان ما تعود إليها ، وتدرك مغبة هذه الصراعات ، وتقوم بعمل مصالحة أو موازنة بين أطراف النزاع ، وتخطو خطوة نحو الطريق السوى الذى يضمن لها البقاء والاستمرار ، ويحقق لها الذيوع والانتشار ، باعتبار أن السينما أهم وأخطر وسيلة من وسائل الاتصال بالجماهير ، حيث اجتمع فى بنائها وتكوينها : الصورة ، والحركة ، والكلمة ، والألوان ، والأصوات .

ولا يخفى عن أذهاننا أن الإنتاج السينمائى فى أى بلد من بلاد العالم المتحضر يختلف من حيث الكم والكيف بين العام والآخر . فيوجد فيه الجيد والردىء والمتوسط من الأفلام ، كما تختلف نسبة الأفلام الجيدة إلى الأفلام الرديئة فتعلو حيناً موجة الأفلام الجيدة فى عام وتطغى حيناً آخر موجة الأفلام الرديئة فى عام آخر ، وقد تستمر هذه الموجة أو تلك عدة أعوام ، ولكن لا يمكننا بأية حال من الأحوال ، أن نحكم حكماً مطلقاً وحاسماً وشاملاً ، ونقول إن هذا الإنتاج أو ذاك ، متخلف أو متقدم نتيجة لكثرة الأفلام الرديئة وقلة الأفلام الجيدة ، مهما تكن هذه القلة محدودة ، ولا يعنى هذا أنه انعدم وجود الأفلام ذات القيمة الفنية أو الموضوعية أو الإنسانية الصادقة . . وإنما يعنى أن نسبة هذه الأفلام قلت وتقل ، وليس فى مصر فقط ، وإنما هى ظاهرة فى العالم أجمع . وقد يكون ظهورها فى الأفلام المصرية ملموساً أكثر بطبيعة الحال ، وعلينا أن

نبحث عن طرق علاجها وإصلاحها لا أن نهاجمها هجوماً عنيفاً لا رحمة فيه يقضى على حاضرها وماضيها . ويلغى وجودها الذى استمر أكثر من خمسين عاماً . علينا أن نأخذ بيدها، ونبحث بهدوء وصدق ، عن الأسباب التى أضرت بها ، ودفعتها إلى هذه الهاوية ، ونعمل متضامنين على إنقاذ ما يمكن إنقاذه. دون حقد أو ضغينة أو عصبية . . ويقينى أن السينما فى بلادنا ، لو أنها سارت على منوال ما وصلت إليه ، فى نهاية الثلاثينات والأربعينات وبداية الخمسينات لو وصلت إلى درجة أحسن مما وصلت إليه اليوم .

● تاريخ السينما المصرية ، لماذا لم تحاول أن تكتبه لنا ؟

– الواقع أنى مكلف من قبل الدولة (وزارة الثقافة) أن أقوم بهذه المهمة بعد أن رحل عنا أستاذنا العزيز محمد كريم ، الذى كان قد بدأ فعلاً فى كتابة هذا التاريخ . وأنا بدورى أهتم بهذه الدراسة منذ سنوات ، ولكن الأمر الذى يعوقنى ، هو أنى برغم كونى من المعاصرين للسينما كهواية منذ عام ١٩٢٧ وبرغم أننى مارستها عملياً كمخرج ومساعد إخراج ، وأننى قد شاركت بمجهود متواضع مع الرعيل الأول من أعلام شبابها منذ عام ١٩٣٥ . . إلا أننى أقف طويلاً أمام مراجعة الأحداث التى مرت بالسينما قبل هذه التواريخ . وهذا كما لا يخفى عليك ، يحتاج إلى كثير من الوقت ، لاستطلاع وتجميع كل الجزئيات ، ومضاهاة ما نشرته الصحف والمجلات والدوريات القديمة ، وهذا يحتاج إلى الصبر والمعاناة ، إن المرحلة الأولى ، هى مرحلة البداية الصعبة والنشأة الأولى هى المرحلة الصعبة والشاقة التى أرجو أن أنتهى منها هذا العام .

● الفيلم السينمائى الجيد ، ما هى مواصفاته فى نظرك ؟

– الفيلم الجيد هو الفيلم الذى يحقق المعادلة الصعبة ، أى يطبق الموازنة والتعادل بين عناصره الأساسية من الناحية الإنتاجية ، وبين أهدافه الاجتماعية من الناحية

العلمية . فالفيلم يعتمد أصلاً على أربعة أركان ، هى عناصره **الأساسية** فى بنائه وتكوينه الناحية الفكرية أو الموضوعية والناحية الفنية أو **الجمالية** ، والناحية الحرفية أو الصناعات العلمية والهندسية ، وأخيراً الناحية التجارية أو تسويق الفيلم من حيث التوزيع والعرض كما أن له أربعة أهداف من الناحية **الاجتماعية** : الجانب **التربوى** ، الجانب الثقافى ، الجانب الإعلامى ، وأخيراً الترفيهى . وعلى قدر **تحقيق الفيلم لهذه** العناصر وتلك الأهداف بشكل متعادل ومتناسب ، تكون درجة **نجاحه وامتيازه** .

● العناصر السينمائية الشابة هل **تعطى** أملاً فى إخراج السينما **المصرية من أزمتها ؟**

– إن كل الأفلام التى ظهرت فى السنوات الأخيرة **لمجموعة من شبابنا الطموح** المتوثب تبشر بالخير العظيم والأمل الكبير . وأذكر منهم على سبيل المثال : **حسين كمال** ، خليل شوقى ، سيد عيسى . شادى عبد السلام ، محمد عبد العزيز ، **أشرف فهمى** ، محمد راضى ، سعيد مرزوق ، على بدرخان ، على عبد الخالق . **وفريق منهم نجح** وأثبت وجوده من أول أفلامه ، وفريق آخر نجح وأثبت وجوده بعد **فيلم أو فيلمين** ، ولكن الذى أرجوه من هؤلاء الشبان وأمثالهم أن يثابروا فى **تقديم الجديد فى كل فيلم** ، وفى إضافة شىء ما إلى الفن السينمائى وألاّ يسيطر عليهم الغرور إذا **نجحوا فالحياة كفاح** ، وتجارب وإصرار والمستقبل للصابرين المناضلين ، من أجل رفع **مستوى السينما المصرية** ، من الوهدة التى تهاوت إليها ، بسبب عبث العابثين وطمع **الطامعين** .

● المؤتمرات والمهرجانات العالمية ، التى تقام بخصوص السينما هل **استفادت** منها حركة السينما لمدول النامية ؟

– أرى من وجهة نظرى أن هذه اللقاءات لها وجهان : **الأول** مضىء ومشرق ومفيد . والآخر معتم مؤذ وضار فى بعض الأحيان . أفادت من حيث إنها **جعلت العالم** يحس بالإنتاج السينمائى فى هذه البلاد النامية ويعترف بوجود حركة **سينمائية فى تلك**

البلاد كما أنها أفادت المبعوثين إلى هذه المؤتمرات والمهرجانات بمشاهدة كل جديد فى السينما العالمية ، وقد يفيدهم هذا من حيث إنه يوسع مداركهم ويرفع من مستوى تذوقهم السينمائى ويدفعهم إلى إضافة شىء ما إلى إنتاجهم المحلى . وأضرت باعتبار أنها بدأت صافية وصادقة وعادلة ، فيما تقيمه من ندوات وفيما تصدره من أحكام . إلا أنه مع مضى الزمن تغيرت الحال وبدأت المجاملات ، والميول والمطامع والأغراض والعلاقات سواء كانت شخصية أم مذهبية أم سياسية أم تجارية ، تلعب دورها وتسيطر على هذه المهرجانات وتغير من مسارها الطبيعى الذى أنشئت أصلاً من أجله . وقد يفوز الفيلم من الأفلام بجائزة أو شهادة تقدير وهنا يكمن الخطر ، من حيث إنها تجعل صاحب هذا الفيلم يقع تحت سيطرة الغرور والخيلاء أو تجعله ينحرف عن المسار القومى لبلاده وشعبه ويجرى وراء بريق العالمية وسراب مكاسبها المتألقة . إن المحلية هى صميم العالمية إذا أدرك الفنان مضمونها الحقيقى وعبر عنها بصدق وأمانة حتى يفيد وينجح بين أهله وعشيرته قبل أن يفوز بالسبق العالمى .

● كيف يمكننا أن نحمى صناعة السينما فى مصر من عناصر مغامرة ، تستهدف الربح من أسهل طريق ؟

– هذه الحماية يجب أن تصدر أولاً من السينمائيين أنفسهم . ثانياً من نقابة المهن السينمائية ، التى لا تهتم بالسينما والسينمائيين فى قليل أوكثير ، ولست أدرى مدى فاعلية هذه النقابة اليوم ، وثالثاً من وزارة الثقافة صاحبة النفوذ والتوجيه ، وذلك بالبحث الجاد عن الحلول الحاسمة ، ولعلها تقلل من الأقوال واللجان وتكثر من الأعمال المثمرة ، وتهتم بالجوهر لا العرض . ورابعاً من النقاد السنمائيين على اختلاف مدارسهم الذين يتخبطون فى ديجور من الخلافات والجدل والنقاش الذى لايجدى ولا يفيد .

● ما هى أبرز الأفلام التى قدمتها أنت للشاشة المصرية ؟ ولماذا انصرفت عن الإخراج لك مدة ؟

– من الصعب أن يتحدث المرء عن نفسه ، أو عن أعماله . . ولكنى أذكر لك بعض الأفلام التى أحس بها الناس ، وقوبلت من النظارة والنقاد : بشىء من التقدير والإعجاب : وهى « العامل » و « النائب العام » و « غروب » و « الجنس اللطيف » و « البيت الكبير » و « ست البيت » و « كدت أهدم بيتى » و « أمريكانى من طنطا » . أما سر انصرافى عن الإخراج فهو إحساسى بأن السينما بدأت تتهاوى ، وطغت النواحى التجارية والعلاقات الشخصية على مسارها المأمول . . فآثرت الانزواء لفترة ولكن هذه الفترة طالت وامتدت إلى أكثر من عشرين سنة .

وفى رأيى أن الفن الذى لا يكون وسيلة فعالة ، لتجميل حياة صاحبه وحياة الناس ، لا يكون فناً جميلاً . وأن الفن الذى لا يدافع عن كرامة الإنسان ويناصر القيم الأخلاقية ويصور البيئة بصدق وأمانة لا يكون فنًّا جميلاً .

● هل المفروض أن يكون الفنان له رؤية سياسية شاملة ، تقف خلف الجزئية التى يتناولها فنه ؟ أو المطلوب منه أن يجيد فحسب نوعية الفن التى يمارسها ؟

– أنا شخصيًّا لا أحب السياسة أو الحديث فى السياسة وأوثر عدم التدخل فى الشئون السياسية ، ولا يعنى هذا عدم الاهتمام . والضرورة لها أحكام ، فالحياة نسيج متداخل من الوحدات والخيوط المتعددة ، منها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية . . إلخ . فلابد للفنان من رؤية سياسية بشرط أن تتوازن مع الوحدات الأخرى ولا تطغى عليها . واللمسة الفنية البارعة ، هى التى تجمع بين وحدات النسيج فى هدوء ولين دون صخب أو جعجعة . ومن الملاحظ أن الأفلام السياسية هى الوشمة الكبيرة التى تميز وجه الفن السابع فى السبعينات .

● وبالمناسبة لماذا عندما تعالج السينما عندنا موضوعاً وطنيًّا ، تعمد إلى الخطابة والزعيق ، هل هو عجز عن الوصول إلى الفن ولغة الفن الحقيقية فى مخاطبة الجماهير؟

– الصوت العالى والصراخ المرتفع ، سمة العصر الحاضر ، فى الحديث والنقاش والتمثيل . وهو عيب مشين بطبيعة الحال . يتنافى مع الذوق ومع الأدب مع الفن والأخلاق ، والفنان السينمائى الذى يعالج الموضوعات الفنية أو السياسية يقدم على إخراجها دون وعى كامل وإحساس صادق . وهذه النوعية من الأفلام تحتاج إلى مزيد من العلم والمعرفة والدقة ، من سعة الخيال وقوة الإيمان وهناك قول مأثور هو « على قدر إيمانك واقتناعك بالموضوع الذى تعالجه وتخرجه على قدر إيمان واقتناع الجماهير به ، وإذا كان هذا القول يطلق بشكل عام ، على أى موضوع فإنه يجب توفره بشكل حازم وملحوظ فى الموضوعات الوطنية أو التاريخية ، ويؤسفنى أن أقرر مرة أخرى ، أن هذا يتعذر وجوده بين غالبية العاملين فى الحقل السينمائى . ولهذا كان التواصل مقطوعاً ، بين الجمهور وبين ما يشاهده على الشاشة . والعيب فى ذلك يرجع إلى ضحالة الفنان وعجزه لا فى ضعف أو قصور اللغة السينمائية عن التعبير أو التوصيل .

● التليفزيون ما هو تقويمك لتجربته فى مصر؟ هل استطاع أن يحقق شخصية مستقلة وهل أثر على السينما المصرية اقتصادياً ؟

– التليفزيون غول ضخم يبتلع كل إنتاج ، ولا يفرق بين الجيد وبين الردىء وإنما هى ساعات طويلة للإرسال . يجب تغطيتها بالبرامج أيًّا كانت هذه البرامج ، فالسرعة والعجلة والهرولة ، من أجل ملء هذه الساعات ، هى المبدأ العام فى العمل التليفزيونى ، والتليفزيون فى مصر بل وفى العالم أجمع لم يأت بجديد ، وإنما هو امتداد للإذاعة من ناحية ، ولهذا أطلقوا عليه أحياناً لفظ « الإذاعة المرئية ، وهو امتداد للحركة والألوان المصورة من ناحية أخرى ، ولهذا أطلقوا عليه « الشاشة الصغيرة »

للتفرقة بينه وبين شاشات السينما العادية . هو مزيج عصرى وعلمى بين الإذاعة والسينما . لكنه يتميز بعدة أشياء ، أهمها الفورية والآنية فى نقل بعض الأحداث والحفلات والندوات والعروض المسرحية أو السينمائية أحياناً ، وأن الأسرة فى البيت عند المشاهدة تحس بنوع من الألفة .

وقد أثر التليفزيون على السينما اقتصاديًّا ، لا فى مصر فقط ، بل فى العالم أجمع . . كما أنه أثر عليها فنيًّا وفكريًّا ، لأن معظم العاملين فى الحقل السينمائى ، تأثروا إلى حد بعيد وخطير ، بالسرعة والعجلة والهرولة ، التى هى من خصائص التليفزيون . هذا الغول الضخم الذى يبتلع كل إنتاج ، ويقبل أى شىء ذا قيمة أو غير ذى قيمة . هذا من جانب ، ومن جانب آخر فهو يعرض الكثير من الإنتاج السينمائى قديماً وحديثاً ، ودفع هذا كله السينمائيين إلى الإتجاه الجديد ، وهو عمل المزيد من نوعية افلام الجريمة والجنس والعنف ، بشكل مبالغ فيه ومفضوح حتى يغرى المشاهدين بالتردد على دور السينما ، لأن المفروض أن التليفزيون لا يعرض مثل هذه النوعية من الأفلام .

● ما يسمى بالتجارب الطليعية فى السينما ، هل يحتاج إليها واقع العالم النامى ؟ أو أن الواقعية ضرورية لمشاكل هذا العالم ، وكيف يمكنها أن تحقق التوازن بين لغة سينمائية متطورة وبين مراعاة واقع يحتاج التعامل معه إلى الإندماج فيه لا التعالى عليه ؟

– أرانى مضطرًّا أن أردد قول أستاذنا توفيق الحكيم فى حديثه الأخير معك الذى نشرته مجلة الكواكب فى عددها الصادر بتاريخ ٢٦ أغسطس سنة ١٩٧٥ ففيه الرد الشافى على سؤالك ، وقد توفرت فيه البساطة والعمق والإيجاز . وهذا القول هو :

كل شىء ممكن أمام التجارب الفنية . وما الفن إلا أشكال وأثواب ، تتغير وتتجدد

باستمرار وليس كل تغيير أو تجديد ، قابلاً للحياة والبقاء . إنما المهم فى الفن وفى الفكر ، بل وفى كل قيمة من قيم الحياة ، هو عدم التحجر والجمود . علينا نحن أن نتحرك ، وعلى الحياة أن تتخير الصالح للبقاء .

سبتمبر سنة ١٩٧٥ .

obeikandl.com

مرسى جميل عزيز

أغانينا متشابهة . . كوجوه اليابانيين فى عيوننا !

ما من مرة ذهبت فيها إلى الإسكندرية الأثيرة وأتيح لى اللقاء بالصديق الفنان مرسى جميل عزيز إلا وأعربت له عن رغبتى فى إجراء حديث معه حول الأغنية المصرية وأوضاعها . . ولكنه كان يفلت منى فى كل مرة لا بالرفض القاطع وإنما باعتذار من يشعرك بأنه غير واجد القابلية للحديث . . وكان يسوق لى أسباباً لا أجدها وجيهة من قبلى ولكنى كنت أحترم عزوفه .

ومؤخراً التقيت به فى «مقهى دى لابيه» حيث ملتقى رجال الفكر والفن بالإسكندرية وبادرته بنفس الرغبة ، وتضافر معى الصديق الشاعر والمجاهد السياسى القديم إبراهيم طلعت المحامى ، وكذلك الصديق الطبيب عازف العود الدكتور أحمد توفيق . . واستجاب الفنان مرسى جميل عزيز . . وكان هذا الحديث .

● قلت للشاعر الغنائى مرسى جميل عزيز : الحديث عن أزمة الأغنية المصرية

obeikandl.com

يكاد يكون «روتينا» فما من موسم إلا ويتجدد الحديث عن الأغنية وأزمتها . . فما رأيك أنت ؟

– وأجابنى مرسى جميل عزيز بقوله : البعض عندما لا يجد ما يكتبه يستنجد بالحديث عن أزمة الأغنية . . فهى «الحيطة الواطية» بدليل أننى حتى الآن لم أقرأ نقداً موضوعيًّا فى كل الكتابات التى قالت بالأزمة . . والمفروض أن يأتى الحديث عن الأغنية وأوضاعها من الذين لديهم الكفاءة لذلك . . ليس هناك من كتابات نحترمها غير ما يكتبه الأستاذ كمال النجمى أحياناً . ومقال كتبه الأستاذ أحمد بهاء الدين منذ نحو عشر سنوات فى صحيفة «الأخبار» لنقد أغنية «ساكن قصادى» أما ما عدا ذلك فمجرد شتائم . . وليس معنى هذا أننى راض عن وضع الأغنية كما هو الآن . . إن هذا الوضع أسوأ بكثير جدًّا من الاتهامات التى توجه إليها . . ولكن كل ما فى الأمر أننا نفتقد النقد الموضوعى فيما يوجه إليها من اتهامات . . وهذا النقد الموضوعى هو الكفيل بإخراجها من الورطة . بواسطة أن يستفيد الكاتب والملحن والمؤدى والمستمع من هذا النقد .

● مهما يكن من أمر فبرغم اعتراضك على ما يكتب حول أزمة الأغنية . . إلا أنك اعترفت بوضعها السيئ . إذا كانت هناك أزمة وأن الأغنية أصبحت متخلفة ما هى مظاهر هذا التخلف وكيف يمكنها اجتياز المحنة ؟

– أحب أن أتحدث عن خطورة الأزمة أولاً . . كلنا يوافق على أن الأمية متفشية بدرجة خطيرة بين جماهيرنا ، وهذا ما يلغى أهمية جميع الفنون المقروءة بالنسبة لجماهيرنا الأمية . . ومعنى هذا أن الأغنية هى الفن الوحيد الذى يصل إليهم وتصبح لها فعاليتها المؤثرة فى مشاعرهم . . بجانب هذا فالأغنية هى أول فن يتلقاه الأطفال منذ البداية . . وبواسطة ضغطها وإفرازاتها تتشكل وجداناتهم فى مرحلة تبدأ فيها شخصياتهم فى التكون . . ولقد ظهرت نظرية حديثة تقول بأن الفنون التى تكتب للأطفال خصيصاً

ينصرف عنها الأطفال ولا يكون لها شأن فى التأثير الداخلى فى أعماقهم . . بل قد أثبتت هذه النظرية أن الأطفال يتأثرون بفنون الكبار وهناك دراسة قدمها التليفزيون الأمريكى مؤخراً انتهت إلى هذه النتيجة . أعود إلى سؤالك لأتساءل . . هل أغانينا باستثناء قلة محدودة . . تأتى على درجة من الجودة الفنية التى تبرر أن نترك لها مطلق الحرية لتشكيل وجدانات الجماهير العريضة . بجانب قاعدة الطفولة . . هل النص الأدبى للأغنية بصفة عامة يصل إلى مستوى الأعمال الفنية ؟ . . مادمت تطلب منى الإجابة فدعنى أقلها لك بضمير مطمئن . . لا . . لا يا صديقى . . إنها مباذل وليست أغنيات تلك التى تتوالى على أسماعنا وتخرب الذوق فينا . . هناك سبب بسيط لذلك إن نسبة كبيرة من الذين يؤلفون الأغانى . . بينهم وبين الثقافة من أى نوع خصومة مستحكمة . . إن أى إنسان يجيد عملية الوزن يستطيع أن يكتب الأغانى ويستطيع فى ظل المناخ السائد فى حياتنا الفنية أن يجد من يشتريها ومن يلحنها ومن يغنيها ومن يروج لها . . بل إن البعض منهم يفتقد حتى إجادة عملية الوزن ذاتها . . كلام . . أى كلام . . والسوق تحتضن . والبضاعة رائجة والنقد غائب !

ثم يأتى دور الملحن . والمصيبة أشد خطورة . . خاصة فى الفترة الأخيرة . . أصبح الفارق بين لحن ولحن هو مجرد اختيار الآلات الفردية مثل السكس والجيتار والأورج والطبول . بدون موهبة متميزة . . وشخصية متفردة ، لم يعد هناك خلق وإبداع ومعاناة . . والدليل على ذلك أننا عندما نسمع أى جزء من أغنية قديمة فللتو نعرف ملحنها ومؤديها . .

أما الآن فمجرد جمل موسيقية طويلة لا نعرف إن كانت للموجى أو بليغ حمدى أو حلمى بكر أو سلطان . . أصبحت أغنياتنا مثل وجوه اليابانيين متشابهة لدرجة أننا لا نعرف بعضهم من بعض حتى أن جانباً كبيراً من أولادنا أصبح يقبل على الأغانى

الأجنبية ويرددها بدون فهم كلماتها وذلك لإفلاس ملحنينا فى جذب اهتمامهم .

● ولكن يا صديقى ألا تشكل الأصوات الغنائية جزءاً من الأزمة . . ليس هناك ثمة إضافة مبشرة ؟

– الأصوات المنتشرة جيدة بالتأكيد . . ولكنها لا تكفى إطلاقاً لجعل نهر الغناء يتدفق بالحيوية . . ويقال إن المشكلة تكمن فى عدم ظهور أصوات جديدة ربما . . ولكن الواقع يؤكد أننا نمتلك أصواتاً بالغة الجودة . . وكثيرة . . ولكنها مركونة بلا سبب مفهوم . . وهى لا تقل عن الأصوات التى تلح على آذاننا فى الصباح والمساء . . قل لى . . لماذا ألقوا فى جب النسيان بسعاد مكاوى وأحلام وحورية حسن وعائشة حسن ومحمد قنديل ونازك وكارم محمود . . هؤلاء كانوا إمكانات غناء هائلة وخصبة . . فلماذا فى غمار الضجيج تحجب أصواتهم . . والمسئول عن ذلك ليست شركات الإسطوانات والأفلام وحدها . . الإذاعة والتليفزيون شريكان فى المسئولية بلا جدال . لقد أصبح هذا الجهاز يعيش على الإنتاج الذى يقدمه له المطربون وشركات الإسطوانات . . وعندى سؤال أحب أن ألقيه . . كم عدد الأغانى الناجحة التى قدمتها الإذاعة والتليفزيون فى السنوات العشر الماضية من خلال ميزانيات باهظة التكاليف .

وإذا كانت هناك محاولة جادة تريد إخراج الأغنية من أزمتها . فلابد أن تكون البداية من أجهزة الإعلام . . فى الماضى منذ عشرين سنة تقريباً كان هناك نظام مختارات الإذاعة بواسطة هذه المختارات شقت طريقها الأغنيات الناجحة والأصوات الغنائية المؤكدة . . مثل أغنية « مال الهوى يا أمه » التى قالت عنها المطربة صباح مؤخراً بأنها كانت بداية حياتها الفنية الحقيقية وكذلك كانت أغنية « أنا قلبى إليك ميال » بداية فايزة أحمد . . وهى من مختارات الإذاعة ولدت . . أما الآن فدلونى على أغنية واحدة أو مطرب ناجح من خلال الإذاعة والتليفزيون . . ويبدو أن ميزانية الإذاعة لم تعد

تكفى غير موظفيها الإداريين . . أما الأعمال الفنية فلها رب اسمه الكريم ! ! ولا داعى الآن للتعرض للشلليه المستفحلة . . إن الأوساط الفنية تعرف الآن بالاسم من هم سماة فلان . . ورجال فلانة .

● قد يكون ذوقاً فجًّا أو متخلفاً . . أو ربما أكون متشيعاً لعصر اندثر ولكنى لا أكتم رأيى فى أن الأصوات التى يقدمونها لنا باسم الجديد . . إنها فى رأيى « لدب » وشىء مخجل فى أغلب الأحايين . . وشىء ليس من المعقول أن تكون مصر قد عقمت . . فى رأيك ما هى الطريقة الأفضل لاكتشاف المواهب الجديدة ؟

= قلت لك من قبل إن أجهزة الإعلام لم تعد تتحمس للاكتشاف . . أو احتضان الجديد الحقيقى . وأصبح الأمر بجماهيره متروكاً للملحن لتقديم الصوت الذى يرى فيه الصلاحية . . وسمعة البعض ليست فوق مجال الشك . . مما يجعل طريق المواهب الجديدة محفوفاً بالشوك . . مما يجعل بعض المواهب تعجز عن مواصلة الطريق . . أو يحجب عنها أى ضوء يريها معالم الطريق . . . ومن جهة أخرى ألم أقل لك منذ لحظة إن كل مطرب أو مطربة من أصحاب النفوذ له أولها (سنيدة) فى أجهزة الإعلام . . وفى يد هؤلاء القدرة التامة لحجب أى مواهب حقيقية حتى لا تشكل أى منافسة تعرض البعض للخطر أو الاهتزاز .

● طيب . . إنه الظلام . . هل يكفى أن تلعنه لينقشع . . علينا أن نوقد شمعة . قل لى كيف يمكن أن نوقدها . هل من سبيل لينجاب الضباب ؟

– ليس هناك من حل للخروج من أزمة اكتشاف المواهب الجديدة . وحمايتها من الطرق التحتية غير أن تتكون فى الإذاعة والتليفزيون لجنة من كبار الأدباء والشعراء والنقاد والصحفيين والملحنين بجانب أساتذة علم الصوت للإشراف على تنظيم عملية اكتشاف المواهب الجديدة وتقديمها ورعايتها وإتاحة الفرص أمامها . . لأن الصوت

الجديد فى حاجة إلى نص جيد ولحن أجود أكثر من حاجة الأسماء الراسخة فى السوق !

● سمعت أنك تنهمك الآن فى كتابة سيناريوهات أفلام جديدة . . لقد عرفناك كاتب أغنية نعتز به . . مالك والسيناريو؟

– الواقع أننى لم أقتحم مجال السيناريو متطفلاً عليه . لقد أدركت منذ أمد بعيد أن اهتمامى بالشعر وضروب الثقافة المتباينة لا يكفى وحده لفنية الأغنية ، وعرفت أن الثقافة الدرامية على أعلى مستويات هى التى تكفل لى كتابة أغان تتوفر فيها هذه الفنية بالدرجة التى تشعرنى بأننى أعطيت جديداً ، ولم أعزف مجرد اللحن المألوف . . واستغرقتنى دراسة الدراما . حتى أن المقتنيات الدرامية فى مكتبى تكاد تتعادل ودواوين الشعر قديمة وحديثة . . ولقد أتاحت لى دراسة الدراما أن أستفيد منها كثيراً فيما كتبت من أغنيات . . وبالمناسبة لعلك لا تعرف أننى خريج الدفعة الأولى فى معهد السيناريو . . ولقد اشتركت فى كتابة أكثر من سيناريو لبعض الأفلام . ولكن الأوان قد آن لأقدم أعمالى كاملة وأتحمل أمام المشاهد مسئوليتها .

● لقد أثير بعد رحيل «كوكب الشرق» أم كلثوم كلام كثير عن خلافتها . . فى هذه القضية هل لديك ما تقوله ؟

– الفنان العظيم حقيقة لابد أن تتوفر له خاصية أن يكون منفرداً بسمات لا يشاركه فيها أحد غيره ، وإلا فقل لى من هو خليفة شارلى شابلن . ومن هو خليفة والت ديزنى وسيسيل دى ميل . . وليس فى هذا إقلال من شأن الآخرين . . فعندنا مطربات عظيمات بدون شك . لدينا نجاة وفايزة وشادية وسعاد محمد وفيروز . . ولكن أم كلثوم كانت نسيجاً خاصًّا . . وهى لم تكن بصوتها فحسب . . بل بكل مظاهر حياتها . . بكل محتواها كانت أم كلثوم الشىء الخارق المنفرد . . وليس معنى هذا أن مصر التى أنجبتها غير قادرة على أن تقدم لنا مثلها . . كل ما أعنيه أن احتمال وجود مطربة عظيمة

مثلها ليس مستحيلاً . . ولكن المهم أن تكون شيئاً خاصًّا لا نسخة أخرى منها !

● فى مجال حديثك عن الدراما استعملت تعبير «فنية الأغنية» ماذا تعنى بهذا التعبير» وهل هناك فارق بين القصيدة المقروءة والقصيدة المؤداة غنائيا ؟

– هناك قصائد مقروءة تصلح للغناء والأمثلة كثيرة فى شعر شوقى وناجى ونزار. ولكن القصيدة التى تكتب للغناء أساساً لها مواصفات ليس منها أن تكون قصة كما فعل البعض . فالقصة شىء والأغنية شىء آخر . المفروض أن الأغنية تعالج موقفاً محدداً يتسم بالعمق وليس بالعرض والتفاصيل والزوائد كموضوع الإنشاء . وكما نجد البعض يفعل . . كما أن ألفاظها وتركيبتها يتحتم أن تكون من الوضوح والبساطة الفنية بمكان . . لأن قارئ القصيدة ينصب كل إحساسه فى أكثر من مرة حتى يدرك إحساس الشاعر . أما القصيدة المغناة فإنها تصل إلى المتلقى من خلال صوت ولحن وجمل موسيقية فإذا لم يكن الشعر واضحاً الوضوح الكافى يتوه منه الموقف . . لهذا فإن اللحن يساعد على الانتشار السريع للأغنية . . أما الكلمات فهى وحدها التى تحمل مسئولية بقائها . . كما أن الطاقة الإيحائية لكلمات الأغنية هى التى تلهم الملحن الحساس للطريقة التى تتعانق مع كلماتها فى وحدة فنية منسجمة .

● هل يستطيع الصوت الجميل وحده أن يعوض ركاكة النص أو ضعف اللحن ؟

– يستطيع بدليل النجاح السريع لمعظم أغانى هذه الأيام . . وبدليل انتشار الأغانى الأجنبية التى يرددها البعض بدون فهم لكلماتها . . ولكن هذا النجاح يزول بسرعة ، فمهما تكاثف الدخان فإنه سرعان ما يتبدد . . وهذا من نعم الله وإلا لفسدت أذواقنا ! !

● مادمت قد تحدثت عن إفساد الذوق . . ما نراه الآن منتشراً بين الطبقات الشعبية من غناء هابط وغث ومبتذل . وحتى بدون ترابط وإنما مجرد كلمات من هنا

وفقرة من هناك . . بلا فن . . بلا معنى غير المفارقة اللفظية . . ومع ذلك يعبأ فى الأشرطة ويتهافت عليه الناس ويتحول أصحابه إلى أرباب عمارات . . ألا يشكل هذا جريمة لإفساد الذوق . .

= ما تندد أنت به وترتجف منه أعتبره أنا ظاهرة صحية . . لأنها تسمى الأشياء بأسمائها . . وهذا يتيح لنا أن نكتشف مكامن الخطر . . بدلاً من تغليف السموم على أنها أدوية . . وكما يقاوم الجسم الميكروبات الغريبة وتبدو عليه مظاهر الحمى فيبادر بالعلاج . . لقد ظهرت أغانى التهريج باسمها الحقيقى فى مواجهة أغنيات تغلف تهريجها بالسلوفان . . ولم تزعم كما ادعت الأخيرة أنها أغانٍ راقية ، ومن هنا علينا المبادرة بالعلاج . . إنهم يقولون إن المنولوج أخذ ينقرض . . ليس هذا صحيحاً . . إن الأغانى فى الحقيقة هى التى توشك أن تنقرض . . لقد تحول معظم المطربين عندنا إلى منولوجستات . . إن هناك نصوص أغانٍ لا يكفينى أن أقف أمام مبنى الإذاعة وأضع أرجل أصحابها فى (فلكة) عقاباً على ما اقترفوه فى حق الذوق العام . . ولكن المسئول عن ذلك هو المطرب ولا أحد غيره ، فإذا أتيح للبعض منهم أن يكون فقط على بعض الثقافة الموسيقية فهو مجرد تمام من الثقافية الأدبية . . ومن هنا تأتى سيطرتهم على المؤلف المسكين الذى يرضخ لما يتمشى مع أذواقهم حتى يذاع اسمه !

● قرأت لك مؤخراً قصيدة تتحدث عن عذاب الشاعر الذى تلاحقه مصلحة الضرائب ، والمفارقة أن القصيدة كانت منشورة فى مجلة الضرائب ذاتها . . وليس هذا ما يعنينى ، ولكن عندما قيل إن الدولة قد اتجهت لإعفاء الفنانين والأدباء من الضرائب ثارت زوبعة تعارض هذا . . باسم كيف يعفى من كسب الألوف بينما يدفع الشعب الكادح التزاماته الضريبية . . ما رأيك أنت فى هذه القضية كشاعر أعرف أن الضرائب تلاحقه ؟

– إن الإعفاء الضريبى لا يجب أن يشمل غير الفنانين والأدباء والخالقين من شعراء وصحفيين وكتاب قصة وملحنين . . أما الذين يستفيدون من أعمال غيرهم بالأداء أو التسويق كالمطرب والراقصة والمنتج السينمائى أو أصحاب شركات الإسطوانات فالأمر يختلف بالنسبة لهم . . نحن الكتاب فقراء ومهما سخرنا كل ما فينا من طاقة فسيظل الواحد منا طيلة عمره لا يمكن أن ينال ما يكسبه ممثل أو منتج فى موسم واحد . . على سبيل المثال لقد تقاضيت عن أغنية « يا أمه القمر على الباب » خمسة عشر جنيها بينما الطبال الذى يصاحب فرقة فايزة أحمد تعدى إيراده عن هذه الأغنية وحدها فى حفلات فايزة الألف جنيه . . إن المؤلف والأديب والملحن ليس له معاش يحتمى به عندما يتوقف عن الإنتاج . . أنا رغم حصولى على أكبر أجر فى تاريخ مهنتى إلا أننى أجد نفسى عاجزاً عن سداد ما تطالبنى به الضرائب . . أى أننى حتى الآن لم أستطع أن أنال ما أعيش وأسدد به ضرائبى . . ولهذا فقد حجزت المصلحة على جميع ما ورثته عن أبى . . إننى نادم تماماً على ممارستى لهذه المهنة . . ولكنه قدرى . . أقول لمصلحة الضرائب لسنا تجار خردة ولا أصحاب كباريهات . . ليس لنا ما نقتات به غير مداد القلم فدعونا نعيش بلا منغصات . . ارفعوا أيديكم عنا واذهبوا إلى الأغنياء .

● قلت فى النهاية لمرسى جميل عزيز . . يبدو أننى أرهقتك . . ما أكثر ما عندى لأتحدث فيه معك . . ولكن سأكف . . وأنت هل لديك فى النهاية ما تحب أن تقوله ؟

– أريد أن أقول كلمة لمحمد عبد الوهاب بالذات ولنقادنا أيضاً ؟ لنقادنا أقول إن فن الأغنية ينتظر منكم جهداً لتقويمه ومواكبته . . إن فن الأغنية من أخطر الفنون تأثيراً فى جماهير شعبنا . . إن دور شخصية واحدة مثل محمد عبد الوهاب ربما يكون أخطر من دور طه حسين وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ مجتمعين ، وقد يجد البعض فى هذا القول مبالغة ، ولأول وهلة ، ولكن عندما تتعمق الأمور فعلينا أن نسمى الأشياء

بأسمائها . . لهذا فلابد من نقد متخصص ودراسات مستفيضة لهذا الفن البالغ الخطورة يتناسب مع أهميته القصوى فى حياتنا الاجتماعية . .

أما كبيرنا الذى علمنا السحر الفنان محمد عبد الوهاب فأنا أناشده أن يعكف لنا على كتابة مذكراته ، كتابة عميقة لا تتناول مجرد الأحداث بالطول والوقائع بل بالعمق والدلالة . . وكيف استطاع أن يتبوأ قمة القمم . . إن هذه المذكرات سوف تكون شاهداً على عصر بأسره بكل أبعاده السياسية والاجتماعية والفنية . . وليس غير عبد الوهاب من الذكاء والخبرة والاقتدار وحضور الذهن من يستطيع أن يلقى لنا الضوء على هذا العصر أناشده ، أن يفعل هذا قبل أن يفوت الأوان . . ويصبح المجال خالياً للأدعياء ومخترعى الأساطير كما حدث بعد رحيل أم كلثوم . .

مارس سنة ١٩٧٦ .

obeikandl.com

محمد جبريل

روائى يفوز بجائزة النقد !

عندما طالعت اسمه كفائز بجائزة الدولة التشجيعية ، اهتزت مشاعرى بمسرة متناهية غامرة . . فبجانب عاطفة حب أكنها له منذ أمد بعيد عندما تلاقت خطواتنا فى درب الأدب . هو صديق من الذين يبذلون الود صفواً ، والحب خالصاً . ويملكون النقاء فى مواجهة الزيف . والصدق فى مجابهة الأغراض ، وزميل تفعم مشاعره الرغبة فى العطاء ، والنظرة الموضوعية التى لا تنتمى إلى شلة ولا تستهدف فى كل ما تكتبه غير وجه الحقيقة . . وقد كان واحداً من الذين حملوا هموم قضية جيلهم وكافحوا من أجل انتصارها بعيداً عن الانغلاق والتعصب والذاتية .

بجانب عاطفة الحب هذه التى فجرت السعادة فى قلبى ، أحسست للتو بأن هذا الانتصار لا يخص محمد جبريل وحده . . إن فوزه يعنى جيلنا بأسره . . فهذه هى المرة الأولى التى يفوز بها واحد من جيلنا . . جيلنا المكافح الذى جاء ليؤكد أصالته وإضافته

obeikandi.com

حاملاً إحساس هذه الأرض ومعاناتها ، وشوقها إلى الحرية والعدل ، وقدرتها على العطاء والإبداع . . والحقيقة أن السمة التى تطالعنا فى أعمال محمد جبريل سواء فى مجال القصة والرواية أوفى مجال الدراسات الأدبية . أومن خلال كتابته عن قضية أدباء الأقاليم هى أن مصر هى المنطلق الذى تصدر عنه كافة تلك الأعمال .

وهذا لقاء مع روائى فنان فاز مؤخراً بجائزة الدولة التشجيعية فى النقد عن دراساته «مصر فى قصص كتابها المعاصرين» . .

● قلت للأديب محمد جبريل :

من كتاباتك يتضح اهتمامك البالغ بمصر وقضاياها . ألاحظ هذا منذ أمد بعيد فى موضوعاتك النقدية والأدبية . وقد تبلور هذا بجلاء فى الدراسة التى نلت عنها جائزة الدولة التشجيعية مؤخراً ، أعنى كتابكم (مصر فى قصص كتابها المعاصرين) فهل يمكن أن نتلمس البداية ؟

– فى الحقيقة ، بدأت الدراسة خاطرة فى ذهنى . كيف تبدو صورة مصر بالتأمل فى أعمال الأدباء . واقترنت هذه الخاطرة برغبة ملحة وضرورية أن أتوقف عن العطاء الفنى حتى أتيح لنفسى فرصة الاطلاع والقراءة على نحو واسع ومتعمق وراصد . . فضلاً عن عامل هام هو رغبتى التواقة فى أن أصادق شعب بلادى أولاً قبل محاولة التصدى للتعبير عنه . . ولأن الخاطرة لم تكن سوى علم له كراريسه فى كل الجامعات الأوربية وهو علم الاجتماع الأدبى . فقد كان إقبالى على إعداد الدراسة نوعاً من التطبيق لهذا العلم . . وبالطبع لم تكن أمامى ريادة مصرية من أى نوع فى هذا المجال ، بل لعلى لا أكون مبالغاً عندما أقول بأن بدايتى كانت من تحت الصفر بدرجات . . ومن هنا فقد كان تصورى للعامين اللذين قدرت أنهما يكفيان للتوقف عن العطاء الفنى وإنجاز الدراسة تقديراً خاطئاً إلى حد كبير . . لقد امتدت الأعوام . منذ عام ١٩٦٣ حتى

الآن ، وكان الجزء الأول الذى صدر منذ عامين هو محصلة هذا الجهد الطويل . ولعلى أوشك الآن على الانتهاء من الجزءين الثانى والثالث . .

● ولكنك لم تذكر لى الدوافع التى ساقتك إلى كتابة الدراسة ؟

= أعتقد أننى أشرت إلى ذلك فى مقدمة الدراسة ، وإن كان الهدف منها باختصار هو الرد على السؤال : هل لدينا كاتب مثل جوركى يحوب أطراف مصر مدفوعاً بحبه الشديد لأرض وطنه وناس بلاده . . يرى كيف يعيش هؤلاء الناس ويتلمس روح شعبه . . فضلاً عن كونى كنت أعانى أزمة « كاتبا » بطله تشيكوف التى أحسست أنها لا تستطيع أن تواصل الحياة دون هدف لهذه الحياة . وكان أستاذها عاجزاً عن أن يجيبها على سؤالها الكبير : « ماذا ينبغى على أن أفعله . . ما هو هدف الحياة ؟ » .

● قولك هذا يسوقنا إلى قضية الالتزام . . هل تؤمن بالتزام الأديب ؟

= يقول جورج أورويل ، إنه لو قيض له أن يعيش فى عصر غير هذا العصر . وفى زمن يسوده السلام لكان من الجائز أن ينصرف إلى الكتابة الموغلة فى الزركشة والتجميل ، وأعتقد أن هذا ما كنت سأفعله بدورى لو أن ظروف عصرنا كانت مختلفة عما هى عليه . . والالتزام قضية يثيرها النقاد كما يثيرون قضية المحلية والعالمية وغيرها من القضايا التى أغرموا بالسفسطة حولها ، فكلها القضايا البديهية لا تحتاج إلى جدل وضياع وقت . . فأنا لا أستطيع أن أتخيل أن هناك كاتباً غير ملتزم أساساً . فالدافع الأول المؤدى إلى الكتابة يتمثل أساساً فى الدفاع عن قيمة إنسانية ما ، وتوصيل وجهة نظر . وتحديد موقف معين من الحياة . . وإذا فقد الكاتب الشىء الذى يريد توصيله ، فإنه يدخل منطقة انعدام الوزن . حيث يفقد شخصيته وهدفه ، ويتحول أدبه إلى مادة هلاميه لا لون لها ولا طعم ولا رائحه . . ولا يمكن أيضاً للفنان أن يدافع عن أشياء مدمرة لروح الإنسان ، وإلا تحول إلى مجرم فى حق نفسه وحق الإنسان ، لأن الفن

التزام بالدفاع عن كل ما هو خير . . وكل ما هو شرف . . وهذا يختلف – إلى حد التناقض – مع الالتزام . .

● هذا يؤدى بنا إلى مناقشة مسألة ارتباط الفنان بوطنه ، وهل هذا الارتباط شرط أساسى فى اعتقادك لصدقه الفنى – وصدقه الإنسانى ؟

– فى اعتقادى أن الصدق الفنى لا يمكن أن ينفصل أبداً عن الصدق الإنسانى . فليس من المعقول أن تحب أوتتعاطف مع عمل له شكله الدرامى المحكم والجميل . بينما ينطوى هذا العمل على مضمون فاسد يطفئ شعلة الأمل والحياة فى نفس الإنسان ، مثله فى ذلك مثل الجريمة الكاملة التى لا تستطيع الشرطة أن تكتشف سرها ، لأنها لا تنطوى على أية ثغرة يمكن النفاذ منها إلى هتك سرها . . فبالرغم من أن الذكاء الخارق هو الذى دبر حبكتها ، إلا أننا فى نفس الوقت لا يمكن إلا أن نحتقر هذا الذكاء وندينه ، لأنه أساساً ذكاء مدمر هدام . . والفن وجد أساساً من أجل الإنسان وقضاياه وأهدافه فى حياة أفضل . وليس لإفسادها جميعاً .

ولذا فإن كل الأعمال السلبية التى تحتقر الحياة ولا تشارك فى دفعها إلى الأفضل والأجمل والأسعد فهى محكوم عليها بالموت والاندثار . . وحياتنا مليئة بالهموم وهى بالتالى ليست فى حاجة إلى الفنان المتشائم أوالفنان السلبى الذى يعكف على اجترار رؤى مريضة أووليدة عقد ذاتية موغلة فى تضخيم أوهامها ، ليضيف إلى الحياة ما يزيدها هموماً . وهناك فارق بين هموم بناءة تنطلق من تعاطف مع الإنسان وقلق على مصيره ومعاناة لتعقيدات واقعه . وبين هموم متشائمة تترجم الحياة وتضع أحجاراً فى طريق مسيرتها نحو الأفضل .

● مؤخراً أثير لغط كثير حول قضية المحلية فى الأدب . وهل هى المدخل الوحيد إلى العالمية فى الأدب . أم أن هناك عوامل أخرى تقف بجانب هذا .

– من البديهى أنه عندما لا يجد النقاد ما يناقشونه فإنهم يخترعونه . وقضية المحلية هى من اختراع النقاد ، وهذه الاختراعات هى من التفريعات النقدية التى لا تهمنى على الإطلاق ولا تعنينى ، لأننى لواهتمت بها لحولت أعمالى إلى نوع من القماش المفصل . فالترزى لا يفصل القماش طبقاً لمقاييس جمالية بقدر ما يهتم بحجم الزبون ومستويات جسمه . وأنا لا أكتب لزبائن . وإنما لجمهور . وأقول هذا لأن المحلية شىء بديهى لا يحتاج إلى مناقشة . فالفنان هو ابن وطنه وبيئته ولابد أن تحمل كتابته خصائص هذا الوطن وروح هذه البيئة ومكوناتها . . إنه يكتب عن إنسان هذا الوطن وظروفه . فأنا أعيش فى مصر . وأعامل أناساً من مصر وأتنفس هواء مصرياً . وأعانى كل القضايا المصرية المختلفة . فماذا تتوقع منى . . هل أكتب أعمالاً إنجليزية أو هندية أو إيطالية ؟ هل أتوهم مشاكل غير موجودة ، وناساً لا أعرفهم وكائنات وهمية وأمكنة خرافية . . وأنا ابن مصر مهمة فنى أن يحتويها بكل مكوناتها وأن يعانقها بكل محتوياتها . . إن من الطبيعى والحتمى والمنطقى أن تكون أعمالى مصرية فى لحمتها وسداها ، وإن لم تكن هكذا فهى ليست بأدب على الإطلاق . . الكاتب المصرى لابد أن يكون نبضه مصرياً وإلا فقد هويته .

بل ويجب أيضاً أن يكون عصرياً بمعنى أن الكاتب الذى يفتقد حس عصره لا يمكنه أن يعبر عن أى عصر آخر . . والمهم أن يصل هذا الإحساس بالوطن والعصر إلى القارئ . حتى يتمثل نفس التجربة النفسية والخيالية التى مر بها الكاتب قبله . . ومن هنا تأتى المشاركة بين المعطى والمتلقى .

● سؤال . . كان فى خاطرى أن أطرحه منذ البداية والحمد لله أننى تذكرته من بين تفريعات الحوار ، معذرة . . أنت تكتب فى النقد ولك محاولات مشهودة ولكنك كاتب قصة قصيرة وكاتب رواية ولست بناقد أساساً ؟ . . حصولك على جائزة الدولة

فى النقد الأدبى – برغم أنك لست بالناقد أساساً كما تؤكد أنت دائماً – ألا يدين هذا الحركة النقدية فى مصر .والنقاد بوجه خاص . ؟

= على الرغم من كثرة ما يمكن نسبته إلى النقد فى كتاباتى الصحفية والأدبية وغيرها ، إلا أننى كنت حريصاً فى كل حين على التأكيد بأنى أقف خارج أسوار النقد ، ولعلى أتصور أن ما حققته بعض هذه الكتابات من التفات إنما مرده فى الدرجة الأولى إلى المصادفة الحسنة .

● أعتقد أنك لم تجاوب على سؤالى بما يغنيه تماماً ، ولكنى لا أريد أن أفسرك على الخوض فى مسائل ربما تكون غير راغب فى الحديث عنها ، ليكن . . دعنى أسألك : هل يمكن اعتبار دراستك «مصر فى قصص كتابها المعاصرين» محاولة نقدية لتلك الأعمال التى ظهرت من خلالها مصر وتناولتها الدراسة ؟

= ثمة حقيقية يجب أن نتفق عليها ، هى أن النقد الذى يقيس الزوايا والأبعاد ثم يصدر أحكاماً ويدلل عليها ، ليس هو محتوى هذه الدراسة ولا غايتها ، وأنا لا أتخذ موقف الناقد الذى وصفه تشيكوف بأنه أشبه بذباب الخيل الذى يعرقلها أثناء حرثها ، فالآراء التى يضمنها هذا الكتاب هى من قبيل الاجتهادات الشخصية التى ربما كانت أخطاء محضة . . وليس يعنى هذه الدراسة أن تقف أمام القضايا الأدبية العامة كقضية الشكل والمضمون مثلاً وما يتفرع عنها من قضايا الفن للفن ، والفن للحياة وإن كان الفن فى أبسط تعبير شكلاً يحتوى على مضمون . والشكل مهم جداً لأنه بدون الشكل لا يكون هناك موضوع فنى . . الشكل هو الذى يفرق بين شكوى فى رسالة وقصة فى رسالة . . ولكن انغماس الفنان فى لعبة الشكل بدون توافقها مع المضمون . أوكونه غير نابع من هذا المضمون الذى يعبر عنه عمله الفنى هو من قبيل رسم اللوحات التجريدية ليس فيها غير خطوط وألوان .

وباختصار فإن هذه الدراسة التى تعمدت اختيار بعض الفقرات بصورة مطولة من هذا العمل أو ذاك تهدف إلى أن تدع النصوص نفسها تصور وتعبر. ذلك لأن العمل الفنى – بأسلوبه ونهجه الفنى. يؤرخ لعصره ويبرز قسماته وملامحه.

● لكل عمل بالطبع إضافات يطرحها فى مسار الثقافة، ومن هنا يأتى مبرر وجوده، فما هى الإضافة التى تعتقد أو التى استهدفت أن تحققها هذه الدراسة.؟

– فى اعتقادى أن هذه الدراسة قد تكون هى الوحيدة التى قدمت صورة صادقة عن مصر من خلال مسح شامل ودقيق لأعمال كثيرة لكتاب مصر خلال الفترة التى دارت الدراسة فى إطارها. ولعل هذه الدراسة تساعد على تعزيز قيام «علم الاجتماع الأدبى» الذى يحتاج بعد هذا إلى أعمال أخرى مثل هذه الدراسة. ويمكن أن تساعد على قيام هذا العلم. واستناده على أصول ومقومات ونصوص.

● خارج المضمون الأساسى لهذه الدراسة. ما أهم القضايا الأدبية التى خرجت بها من التجربة؟

– لقد أتاحت لى هذه الدراسة – بالضرورة – أن أقرأ الكثير من القصص التى عبرت عن مراحل متباينة من حياة المجتمع المصرى، تلك التى تضرب فى أعماق التاريخ، ومن الطريف أن بعض هذه القصص رغم أنها كانت بدايات لهذا الفن إلا أنها كانت تحتوى على كثير من ملامحه ومقوماته ولو أنها كانت غير مؤكدة الحس.

كما تكشف لى بفضل هذه الدراسة أن هناك أعمالاً قد لاتمت إلى الفن إطلاقاً برغم إنها لكتاب كبار. وعلى العكس فإن هناك أعمالاً تتمتع بكل الإمكانيات الفنية لهذا الفن رغم أنها لكتاب صغار.

● والآن.. ماذا عن مشروعاتك للمستقبل؟

– أعود من جديد للتأكيد بأننى أقف خارج أسوار النقد، وأن اهتماماتى الأساسية

فى المقام الأول هى القصة والرواية . . وبعد مجموعتى القصصية الأولى «تلك اللحظة فى حياة العالم» وروايتى الأولى «الأسوار» فأنا الآن أعد لإصدار مجموعتى القصصية الثانية» متتابعات لا تعرف الانسجام «كما أننى بدأت فى كتابة روايتى الثانية «حكايات عن جزيرة فاروس» وفى الذهن بالطبع أعمال أخرى لم تتحدد بعد عندى ملامحها النهائية .

فبراير سنة ١٩٧٦

obeikandl.com

obeikandl.com

فاطمة سليم

عن الأدب فى تونس

● غالباً كلما قدم إلى قاهرتنا أديب من أى قطر من أقطار المغرب العربى وجدناه يبادرنا بالعتاب لكون الحركة الثقافية فى مصر لا تتابع – بل لعلها تجهل – ما يدور من أنشطة ثقافية فى هذه الأقطار العربية الشقيقة . . وأحياناً يتصاعد هذا العتاب إلى حد الاتهام بالتقصير من جانبنا ، ولكنه فى كل الأحوال ينطلق من دوافع الحب والتقدير للقاهرة والاعتراف بدورها الرائد ومكانتها الحضارية عند هذه الأقطار التى تتطلع إليها وتعايش كل ما يصدر عنها . . وفى الحقيقة فإن هذا العتاب يثير قضية لابد من إيجاد الحلول لها . . إن عملية تنشيط التبادل الثقافى بين أقطار العروبة بصورة منظمة ضرورة أولية يجب أن تكون جزءاً من مهام وزارات الثقافة فى كافة بلادنا العربية . كما أنها مهمة أساسية من مهام اللجنة الثقافة بجامعة الدول العربية لابد من تنسيق لعملية توزيع المطبوعات فى أقطارنا العربية وتبادل الأفلام والمسرحيات ومعارض الفنون التشكيلية .

وتبادل الزيارات بين الأدباء والفنانين والاتصال المباشر بينهم فى جميع أرجاء وطننا العربى .

● ونفس العتاب سمعته مؤخراً من الأديبة التونسية فاطمة سليم خلال زيارتها الأخيرة للقاهرة . . وفاطمة سليم قاصة صحفية تحرر فى مجلة « المرأة » التى يصدرها الاتحاد النسائى فى تونس . وتنشر قصصها القصيرة فى مجلة « قصص » وكذلك مجلة « الفكر » كما تذاع قصصها فى الإذاعة التونسية . وقد صدرت لها فى الستينات مجموعة قصصية بعنوان « نداء المستقبل » وفى عام ١٩٧٤ صدرت مجموعتها الثانية « تجديف فى النيل » وهذا لقاء مع الأديبة التونسية الشابة .

● قلت للأديبة التونسية فاطمة سليم : ألاحظ أن إنتاجك الأدبى لم يخرج عن إطار القصة القصيرة . . هل يكمن وراء هذا الاختيار لتلك النوعية موقف ما يواكب تجربتك مع القصة القصيرة ؟

– ما زالت القصة القصيرة بالنسبة لى هى أقدر الأشكال الأدبية طواعية للتعبير عن موقفى من الحياة والناس والأشياء . وحتى الآن لا أجد عندى الرغبة فى تجربة أشكال أخرى من الفن . ولكن من يدرى قد أجدنى فى المستقبل قد اتجهت إلى أشكال أخرى . قد أجد أن تجاربى الفنية يلائمها المسرح أو الرواية ، أما الموقف خلف تجاربى القصصية فهو التعبير عن مشاعرى وتجاربى ووجهة نظرى فى الواقع ، وفى البداية كانت قصصى تكتب بمجرد السليقة أو الموهبة كما يقولون – إن جاز أن أدرج فى منطقتها – ولكن بعد القراءة المكثفة والمتصلة والاقتراب من منابع الثقافة وجدتنى أتجه إلى التجريب فى إطار القصة القصيرة ، فقد كانتْ مجموعتى الأولى « نداء المستقبل » تقليدية لا تضيف شيئاً مثمراً ومتميزاً فى القصة وفنها ، ولكنى فى مجموعتى الثانية « تجديف فى النيل » نحوت إلى التجديد فى الشكل القصصى الذى يبلور تجربتى

الفنية . . ولا أعرف إن كنت نجحت فى هذا أو لم أوفق .

● بعد قراءتى لمجموعتك «تجديف فى النيل» أجدنى متفقاً مع الكتاب التونسى محمد العروسى المطوى فى تقويمه لهذه المجموعة التى تضم ما يمكن تصنيفه – من ناحية الأسلوب – فى نوع الأدب القصصى . والبعض الآخر من نوع اللوحات والخواطر كما يمكن اعتبار جانب آخر منها من باب الشعر المنثور؟

– قلت إننى أجرب . ومن حق النقد أن يضع تجاربى فى الوضع الذى يراه . المهم أننى صادقة مع نفسى ومع تجربتى الفنية . ومن خلال هذا الصدق مع نفسى ومع هذا الفن قد أصل إلى ما يجعلنى أتجاوز تجاربى الراهنة . . ومهما يكن من أمر فكل الذين تناولوا تجاربى القصصية بالنقد نوهوا عن قيمة كتابتى وصدقها ورؤيتها الملتزمة وكونها تأتى تأكيداً لقدرة المرأة التونسية على أن تكون أديبة وفنانة ومؤثرة فى ثقافة بلادها .

● من هم الرواد الذين مهدوا طريق القصة فى تونس ؟

– على الدوعاجى . . العروسى المطوى ، البشير خريف .

● والرؤية الجديدة عند مَنْ مِنْ جيل الشبان نجدها ؟

– عندنا عز الدين المدنى ، أحمد ممو ، إبراهيم بن مراد ، عبد الواحد براهم ، عروسية نالوتى .

● تجاربكم الفنية فى تونس هل تسوقونها بالعربية الفصحى ، وما موقع العامية فى إنتاجكم ؟

– أكثريتنا المطلقة تكتب بالعربية الفصحى . . البشير خريف هو الذى يكتب بالعامية خاصة بلغة أهل «الجريد» موطنه وهى منطقة فى الجنوب التونسى مشهورة بالذكاء والأصالة والمواهب ومنها جاء الشابى شاعرنا الأشهر . . ولها طابع خاص ونكهة خاصة ، لهذا يصر البشير على أن يعبر عنها بلهجتها المحلية . . ونحن فى تونس نؤيد موقفه

هذا برغم أن أغلبنا يكتب بالعربية الفصحى .

● القصة القصيرة فى تونس . . الآن هل هى مزدهرة ؟ . أنا أتابعها فحسب من مجلة « الفكر » و « قصص » وليست متابعتى دائمة . . فى الحقيقة تكون بالمصادفة عندما أجدهما فى السوق أو مع زميل . . لهذا لا أستطيع أن أصدر حكماً عليها ؟

– فى الحقيقة تمر القصة القصيرة الآن بمرحلة فتور . . لا من حيث الوجود . فما أكثر ما يكتب . وإنما من حيث النشر بسبب تقلص المساحة التى كانت متاحة للقصة فى الصحف وفى الإذاعة . لقد اتجهت الأهداف القومية فى تونس إلى التكنولوجيا وأصبحت الصحافة والإذاعة تساير ذلك . . كانت الصحافة تهتم بالقصة وكانت الإذاعة تقدم المواهب الجديدة . . نتيجة الاهتمام بالتكنولوجيا من أجل نهضة علمية فى تونس ، لم تعد المواهب الشابة تجد المجال متسعاً . . هناك ازدهار فى الإنتاج وفتور فى النشر . . ولكن الإنتاج يترعرع فى المنتديات الأدبية فحسب انتظاراً لنشر أوسع مجالاً .

● ما هى القضية التى تشغلك فى كتابتك أو تستأثر بالجانب الأكبر من الاهتمام فى هذه الكتابة ؟

– قضية المرأة عموماً هى التى تشغلنى والتى أجدنى مدفوعة إلى الإصرار على أن تنتصر المرأة فى هذه القضية . . أريدها أن تجتاز واقعها الراهن فى عالمنا العربى إلى واقع أفضل تتأكد فيه جدارتها ومواهبها ومساواتها بالرجل على جميع المستويات . ما أسعى إلى تأكيده دائماً هو تغيير النظرة الخاطئة للمرأة من أنها أدنى من الرجل .

● مادمنا قد تحدثنا عن قضية المرأة واهتمام أدبك بهذه القضية . . يخطر لى سؤال ، هل هناك أسماء نسائية لها أصواتها المتميزة وسط ما يعزف أدباً فى تونس . وهل أعطين ما يماثل قيمة ما أعطته الأصوات النسائية فى أدب المشرق العربى .

– فى الحقيقة توجد نهضة أدبية نسائية فى تونس لا شك فى قيمتها ومحاولاتها

الدائبة لإثراء حياتنا الثقافية والإسهام فى تيارها . . عندنا أسماء لها تاريخ مديد مثل ناجية سامق . . وعندنا هند عزوز ، وخيرة الشيبانى ، وجميلة الماجرى وعروسة نالوتى ، ونتيلة التبانية ، ونافلة ذهب ، وفاطمة المدريدى وغيرهن . ولكنى أصارحك القول بأن الأدب النسائى عندنا لم يصل إلى المستوى الذى وصل إليه الأدب النسائى فى المشرق خصوصاً فى مصر ، وذلك لظروف تاريخية واجتماعية ليس هنا مجال الحديث عنها . ولكن الظاهرة التى تبشر بالخير أنهن جميعاً يمتلكن ثقافة عصرية متسعة وأن الأدب النسائى عندنا ليس ضخم الكم فذلك لأن المرأة الأديبة عندنا مشغولة بقضايا المجتمع ، وكلهن يتحملن مسئوليات اجتماعية فى خدمة الحياة القومية التونسية . بجانب أن بعضهن موظفات وربات بيوت .

● هل كان لأدب المشرق وللأدب المصرى تأثير فى الأدب التونسى ؟

– نحن أمة واحدة ذات تراث مشترك ولغة موحدة ، ومن الطبيعى أن يحدث التفاعل ، وأدب المشرق مقروء إلى حد كبير فى تونس . . ونحن فى تونس نعرف كل الكتاب المصريين . ونتابع المحاولات الجديدة من جيل الشبان عنكم ونناقشها فى منتدياتنا الأدبية . . ولكن إنتاجنا القصصى بالذات له طابعه الخاص وهو عموماً يحمل سمات المجتمع التونسى وغير متأثر بالنتاج المصرى أو غيره .

● ألم تحدث الموجة الجديدة من الشبان عندنا تأثيراً فى إنتاج الشباب لديكم ؟

– الموجة شملت الجميع عندنا وعندكم . . لأنها جاءت من الغرب أساساً . وإذا كانت قد أحدثت تأثيراً فلستم أنتم ولا أدباء المشرق مصدره . . لقد كانت موجة عالمية . . ولكنى ألاحظ أنها فى المشرق عندكم وفى المغرب عندنا قد أخذت فى الانحسار والجزر . . والدليل على ذلك وقفات الصمت التى يقفها الآن بعض الكتاب من أدباء هذه الموجة . وفى اعتقادى أن الموجة قد امتدت ووجدت استجابة نتيجة

لظروف سياسية معينة كانت تسود منطقتنا العربية خاصة بعد عام ١٩٦٧ حيث كان الضباب يكتنف الأفق وكان اليأس والتمزق يحيط بكل أقطار الذات العربية . ولكن بعد أن أعادت حرب أكتوبر الثقة للإنسان العربى وجلبت له وضوح الرؤية والإيمان بالذات . . فإن هذه الموجة تتراجع لتفسح الطريق لمعطيات مغايرة سوف تفرزها فترة المخاض الراهنة .

يناير سنة ١٩٧٦

obeikandl.com

رقم الإيداع	١٩٨٨ / ٢٥٠٩
الترقيم الدولى	٣-٢٤٠٧-٠٢-٩٧٧
ISBN	

١ / ٨٨ / ٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

obeikandl.com

obeikandl.com